الهروب إلي الهيش

إيمان عزمي

الهروب إلى الهيش/ رواية

أيمن عزمي

الطبعة الأولى ، ٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

إسلام جاويش

تدقيق لغوي :

محمد علي

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٤٥٣٦

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٠٣-٩

الهروب إلي الهيش

إيمان عزمي

رواية

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

كلمة

"الصّمت حكمة ،لكنّه أحيانًا يكون كنبات "الهيش" لا يصلح للاختباء."

الكاتبة: "إيمان عزمي"

رواية: "الهروب إلى الهيش"

ە

إهداء

إلى

"والدي"

من زرع بداخلي بذرة القراءة والكتابة

أتمنّى أن أحقّق ربع ما تحلم به من أجلي

"والدتي"

من تحمّلتني و ظلمتها كثيرًا من أجل قلمي

أتمنّى أن أفيكي حقك

"أختي"

من آمنت بموهبتي

أتمنّى أن أستحقّ دعمكِ

من شاركني لحظات الفرحة والحزن

"أخي"

شكرًا لكلّ ما قدّمته لي

إهداء لرفيقات دربي

صديقاتي تجمعنا الأيّام و تفرّقنا لكن دومًا لكنّ

بقلبي مكان لا ينضب من الحبّ

أمل عبد الحي

نجلاء محمود

حنان نجار

ولاء نصر

سلوى عبد ربه

إيمان محمد حسن

رشا شوقي

شيماء عبد الطيف

إهداء خاص جدًا

هذا الإهداء يخصّ كلّ من كان له بصمة في حياتي

ككاتبة. شكرًا لكم جميعًا

أحمد راشد

أحمد طه

أحمد خشبة

أحمد الملواني

أيمن عثمان

أيمن عمر

جميل نجم

عاطف إبراهيم

محمد عيد

محمد فوزي

محمد محمود(الخال محمد)

الفصل الأول

(١)

دعني أثرثر.. دَعني أصرخ بكلمات حيرة.. كم أشتاق إلى صوتي كثيرًا.. إلى تلك النّغمات المختلفة التي تخرج من حنجرتي فتلتقطها أذني. لا أدري كم من الوقت مارستُ طقوس الصّمت.. ربّما حدّثتْ حوائط غرفتي وحاوبتني صمتها على مدى عشر سنوات أو أكثر. بالطبع لا يهمّ عدد السّنوات هنا مقارنة بيومي الذي كان الأربعة وعشرين ساعة فيه كأربعة و عشرين سنة من الصّمت.

كم أشتاق إلى ملمس تلك الأوراق بين يدي .. كنت أنتظر تلك اللّحظات بشغف من تنتظر معرفة خبر حملها بعد سنوات كثيرة من جفاف رحمها. لم أكن أتخيّل أنّ قلبي سيخفق حين تلامس أصابعي القلم مرّةً أخرى .. و أنّه ستجتاحني نشوة "عروس" في صباح عرسها.

أشعر أنّي أغدو طفلة بين سطور كتاباتي.. فما أعظمها سعادة أن تجد الكلمات تخرج من بين شفتيك متشبّثة بحبالٍ من الحرّية، منطلقة دون روية، مستمتعة بقواعد الاطمئنان. لو داخلني شعور منذ عدة أيام أنّي

سأعود لقلت: "إنّ عقلي قد جن ،وقد فقــدت البقيّــة المتبقية منه" ؛لكنّي اليوم أعلم أن لا شيء مستحيل.

دعني قليلا أثرثر و لا تستعجل الحقيقة، لا تفكّر أنّي سأختصر لك الأحداث بل هي فرصتي لأفرغ شــحنات من الانفعالات لطالما كبتُها في نفسي ؛لذا لنترك لقلمــيّ تذوّق "حرية الكلمــة"، "حريــة الاختيــار"، "حريــة الانفعال"، ودعني أُقطر من بين جفوني سنوات عمــري الميّتة، فقد تكون كلماتي القادمة بداية لكلمات لم تسطر بعد أو نهاية كلمات نُقشت على جدران قلبي الحزين؛ لذا كان عليّ أن أخطّها لتسكن بين يديك.. بل ربّما حان الوقت لتتركني وحدي، فكم أودّ استكمال إفراغ بــاقي شحنات الكبت على الأوراق دون مراقبتك لي.. لكنّي لن أكمل كتاباتي بل سأمزّق الأوراق مطلقة إياهــا في فضاء الغرفة ،كما كنت أفعل و أنا طفلة صغيرة مدّعيــة أنّها "عصافير الجنّة".. تلك العصافير التي اكتشفت حين أصبحت "أمًا "أنّها "أزهارا"..

_ لا تمزّقي ما كتبتِ ،ودعيني أقرأه!

_دعني لأعود طفلة .. تتراقص الفرحة في عينيها على توافهها!.

_ و لكن ...

_فلتغلق الباب خلفك. تصبح على خير.

(٢)

حالة نادرة أنت بكلّ المقاييس.. حين أخبروني ضرورة حضوري لإصابتك بانهيار عصبي.. توقّعت أحد المشاهد المأساوية التي أراها دائمًا في مرضاي لكنّك كنت متفردة من نوعك. كان دخولي غرفتك قد سبقه جلسة مع أسرتك عرفت خلالها أنّك لم تتوقّفي عن الصراخ منذ يومين.. فأعددت نفسي لرؤيتك "كدمية" ملقاة في أحد الأركان بعد أن مزّقها الألم ؛ لكنّك كنت شامخة في جلستك على المقعد المواجهة لنافذتك.

لم يكن على وجهك أيّ ملمح من ملامح التّوهان. بل كنت كمن يفكّر في مسألة مستعصية ،لكنّه يعلم أنّه قادر على الوصول للحلّ بسرعة. كانت ملابسك تدلّ على ذوق فنّانة تملك من الحس ما يمكنها أن تخفي مشاعرها في لحظة كما تظهرها في لحظة أخرى.. ونفتُ أتأمّلك فأشحتِ بوجهك عني ،ثمّ اكتفيتِ بإلقاء السّلام الذي أعقبه الصّمت.

لم يطل صمتك، فقد وقفتِ في مواجهتي.. ثمّ نظرتِ لي نظرةً متفحّصةً سريعة قبل أن تتجهي لجوار سريرك.. انحنيتِ ،لكنّي لم أتوقّع وجود حقيبة السّفر الصّغيرة تلك،

التي أصبحت في يدكِ ، و أنتِ تعودين لوقفتك الشّامخة.
جملة واحدة خرجت من فمك:

_" هيّا بنا".

منذ دخلتُ غرفتكِ تأكّد لي أنّكِ لستِ مريضة عادية. سألتك عن وجهتنا فأجبتِ مسدّدة نظرة لي أشعرتني بالغباء:

_ "بالطبع مشفاك"!.

أُصبْتُ بالصّمت مثلك بينما عقلي يعمل على تحليل مبدئي لحالتك .. لم تنتظري تعليقي بل سبقتني في مغادرة الغرفة ،فقلتُ مستسلمًا و أنا أتبعكِ:

_" حسنًا.. هيّا بنا."

لم يعترض أي من أسرتك حين أخبرتهم باصطحابي لكِ للمستشفى.. وحاول والدكِ أن يرافقنا لكن صرختك الهستيرية منعته.

في الطّريق آثرتِ الصّمت ،وحين دخلنا المستشفى رافقنا حتى غرفتك، فتوقّعت أن تتعلقي به لكن ما إن تمّ إعداد كلّ شيء ،واستقرّيت بغرفتك حتى بدأتِ الحديث ،وكأنّكِ لن تتوقّفي أبدًا، فقد كانت كلماتك تصرخ برغبةٍ عارمة للثرثرة.

كان الدفتر و القلم بيدي ،لكنّي لم أسجّل أيًا مما قلت .. فقد كنت متيقنًا أنّي لو أمسكت قلمًا ،لأخُطّ به جملكِ لتوقّف سيل الإبداع الذي كنت تلقيه على مسامعي طوال ساعة أعقبها صمت مطبق ،وتركيز شديد في ذلك الدفتر الذي أعطيته لكِ ،وملأتِ صفحاته بسرعة.

أشعر أنّكِ تحملين خلف هالة الصمت التي تتّشحين بها "عبقرية نائمة".. ربّما لو تركتني قليلًا أطّلع على ما كتبته في الدفتر لفهمتُ كلّ شيء.

.~.~.~.

(٣)

أرى أنكَ قد أحضرت معك دفترك المعتاد.. ألن تتوقّف عن تلك العادة؟! إنّ لساني يتوقّف أمام رؤيته، لينحاز للكتابة في دفتري.. أعتقد أنّ عليك أن تتفهّم هذا؛ لذا أنتظر منك ألّا تأتي به عند زيارتي مرّةً أخرى إذا أردت للساني لا لقلمي الانطلاق.

الفضول يكاد يأكل عينيك اليوم كما لم يفعل من قبل.. يبدو أنّ صبرك قد نفد. حسنًا .. ماذا تريد أن تعرف؟ اليوم أستطيع أن أجاوبك على أسئلتك، ولن أكذب عليك ولن أجمّل إجاباتي، ولكن شرط ألّا تعكر أسئلتك صفو رأسي، فأُفْقِدك الأمل في معرفة ما خفي عنك. والآن اسأل عمّا تريد، فضميري على وشك الموت فأَسْرِع قبل أن تتحوّل إلى مادّة غنية لعقلي الذي يستطيع تحسّس خبايا نفسك.

.~.~.~.

(٤)

تعشقين لعبة "القط والفأر"، لكنّي لا أملك أيًا من خصائصهما التي تتوقّعيها.. فلست بالصيّاد الفاشل "كالقط"، و لست بالمطارد الخائف "كالفأر".

تضعيني في خانة (إليك)، معطيةً إيّاي غنيمةً كبيرة، لكنّك تسلبينها بتحذيرك.. تريدين إرباكي .. فها أنا أرى نظرة الاستمتاع في عينيك بحيرتي. تُرى أيّ الأسئلة قادرة على تعكير صفو رأسك العنيد؟!

ربّما تحتاجين لمن يترك لك حرّية الاختيار.. أليست تلك جملتك حين أقمتِ بغرفتك تلك في اليوم الأوّل لك هنا؟ نعم سأترك لك حرّية الحديث عن مراحل حياتك.. لن أتدخّل بالسّؤال عن أحداث الطّفولة أو الدراسة أو الحبّ والزّواج. فماضيك لم يعشه أحدٌ غيرك، وحاضرك تصنعينه بوجودك هنا، ومستقبلك هو توقّعاتك، وإرادة "الله" النّافذة.

لا أريد الاطلاع على دفترك رغم فضولي القاتل!.. طلبتِ الحديث بحرّية، وها أنا أسلّمك مفاتيح حرّيتك. مطلقًا لك اليد الأولى والأخيرة في تحديد كلّ شيء بدءًا بالكلام، وانتهاءًا بالفعل والتصرّف. لن أُحْضِرَ معي

دفتري كما ترغبين، ولن أسألكِ أسئلةً تثير حنقك.. بل سأترك لكِ نافذة الحوار؛ لتفتحيه وتغلقيه وقتما تشائين، وكيفما تشائين.

ساعة .. ساعتين و أنا في جلستي تلك، وها قد سلّمتك ما تريدين، لكنّه "الخوف" يقبع بداخلك.. عدّة سنوات تتحدّثين فيهم عن الصّمت، لكنّي أرى في عينيكِ الآن عمرًا كاملًا منه.

صامتةٌ أنتِ كالبركان الخامل.. لذا لا أحد يستطيع مساعدتك غير نفسك.. لا طبيبًا محنّكًا، ولا طبيبا مبتدئًا.. لا أبًا و لا أمًا و لا أختًا...

أرى أنّ خياراتكِ دائمًا كثيرة، لكنّه عشقكِ للصّمت هو ما يُوئدُ كلّ خيار. هذه هي زيارتي الأخيرة لكِ ؛لذا إذا أردتِ الشّفاء عليكِ بأخذ الدواء.. و دواؤكِ هو قتل ذلك الكائن المتعايشة معه_"الصّمت".. سلام.

.~.~.~.

(٥)

تعلّمت الصّبر كثيرًا خلال عملي، لكنّني اليوم أجد الصّبر يطعنني، وأنا أتلهّف بشدّة لمعرفة خبايا نفسها.. عرفتُ أنّ لها زوجًا وطفلين، لكن الغريب أنّني لم ألتقِ بأيٍ منهم!.. بل وكأن عدوى "الصّمت" انتقلت لأسرتها حين سألتهم عنهم!!.

في المساء لم تكن لي رغبة في مراجعة باقي حالات المستشفى، لذا اندسست في سريري مبكرًا بعد أن كتبت الملاحظات التي زوّدتني بها الممرّضة التي كلفتها بمراقبتها من يوم أن هجرتُ مقابلتها، تاركًا إيّاها لتتخذ قرار أخذها الدواء بنفسها.

"كوابيس وبكاء" تظلل ليلها، و"نشاط غريب" يتملّكها صباحًا.. واعية للأحداث كأنّها تلازم عينيها باستمرار. لكن لاشيء سوى "الملازمة".. و روتين يومي تمارسه كأنّها وُلِدَتْ به. توقّعتها ستنهار مرّةً أخرى، لكن بدت كأنّها جرّبت الانهيار مرّة واحدة، فلم يعجبها!

تقلّبت بين الأرق طوال الليل دون سببٍ واضحٍ لي حتّى استيقظت أبكر من المعتاد.. توضّأت وصلّيت، وجلست قليلًا في الشّرفة، فشردت معها.

لا أعرف لِمَ تستهويني حالتها مع أنّها لم تأتِ بأفعالٍ خارقة؟! ربّما هو أسلوبها في السّيطرة على مجريات الأحداث هو ما يربكني قليلًا، ويجعلني أشعر أنّها قادرةً على إفساد عملي.. بل وتحطيم سمعتي العلمية إن لم أعالجها.

مريضة هي بالقوّة النّفسية.. سليمة هي حد المرض.. مكابرة و عند، وشعور بالقدرة على تخطّي العقبات دون فعل المزيد. وصمت وَطِئته في نفسها كالبركان الخامل.

اليوم هو الخامس منذ هجرت زيارتها، ومازالت حالة العند بيننا مستمرّة.. لا هي تريد أن تطلب الدواء فتتحمّل عواقبه، ولا أنا أحرّك ساكنًا لأدفعها لتفعل ذلك. كل منّا ينتظر الآخر أن يبدأ بخطوة البداية. تُرَى هل أتركها حتى تأتيني طوعًا أم أنّ مثلها يعتبر الأمر خضوعًا، والخضوع إهانة؟ ربّما عليَّ أن أتخطّى تلك المرحلة و أبدأ أنا بالخطوة الأولى، بل لعل الحظّ يحالفني حينها.. فقط عليَّ أن أختار البداية الصّحيحة حتى لا تقضي على كلّ طرق العلاج بذكائها المُرهق!

أرى أنّ الحديث عن "الحب" هو الأهم حاليًا، فلا أستطيع أن أنسى جسدها المنتفض حين نطقت بلفظ "الحب" في حواري الأخير معها، ولكن هناك زيارة لابدّ أن أقوم بها أوّلا لأسرتها علّني أعثر على ثقب في قلعة أسرارها.

.~.~.~.

(٦)

بدت زيارتي لأسرتها غير مقبولة من ملامح والدها الجامدة. بل تنبّهت لتلك النظرات الحادّة المنطلقة من عينيه كالسّهام، والتي من الواضح أنّها تحملها هي الأخرى بالوراثة أينما تذهب!.

كان الترحيب بي جافًا على الرّغم من قيامهم بواجبات الضيافة على أكمل وجه.. و لم يكن بجلستنا كلام أكثر من الصمت غير أنّ ملامح والدتها المتوتّرة كانت تخبرني أنّها تتمنّى الحديث، وها قد جاءتنا الفرصة حين رنّ هاتف والدها المحمول فغادر المكان ليجاوبه، فقالت والدتها بسرعة:

ـ" لقد طُلّقت من زوجها. الأطفال معه. لم يسمح باصطحابها لهم ،ولا بعيشها وحدها. معذور!."

كان هذا هو آخر ما سمعته من كلمات خلال اللّقاء. فقد وصل والدها وألقى على مسامعي التّحية لأنصرف:

ـ" شكرًا لزيارتك."

فبدت الجملة، وكأنّ لها امتدادًا " لا تكرّرها مرّة أخرى."

خرجت من ذلك المنزل الميت إلى الشارع تتراقص كلمات والدتها في رأسي، فلم أستطع أن أغادر شارعها دون أن أتجوّل بعيني في أنحائه عليَّ أستكشف جديدًا في حياة تلك المرأة، وكدت أيأس حتّى استوقفني ذلك العجوز ،وأنا أهمّ بركوب سيّارتي:

_" أريد أن أراها قبل أن ألقى ربّي."

وقفت مشدوهًا من ذلك الطّلب الذي لم أتوقّعه من أحد خلال تلك الزّيارة.. ثمّ قلت لأتأكّد من سلامة عقله:

_ "من؟!"

_" همس.. لم أكن أعرف أنّها ستختار طبيبًا بطيء الذّكاء مثلك.!"

قالها الرجل كأنّنا أعداء قدامى، لكنّني تجاوزت عن كلماته التي كانت تخرج مرتعشة من بين شفتيه بفعل عوامل الزمن، و تحوّل تركيزي إلى ما يمكن أن يفيدني به هذا العجوز عنها، فساعدته على دخول سيّارتي، وانطلقت بها مغادرًا الشّارع قائلًا:

_ "ما علاقتك بها؟"

أخبرتني نظرات العجوز أنه لن يمتنع عن مساعدتي بقدر استطاعته رغم شكّه في ذكائي، ثمّ قال و هو يكاد يغوص بجسده الضّئيل في المقعد المجاور لي:

ـ"الحياة بدون "همس" كالأرض بدون ماء.!"

ـ" إذًا هي تعطف عليك؟"

شعرت أنّ يده الصّغيرة ستمتدّ لتصفعني، فتحسّست وجهي لا إراديًا، لكنّه اكتفى بالنّظر لي باحتقار، وقال وهو يشيح وجهه عنّي:

ـ" همس هي روح ذلك الشّارع.. بل قل أي مكان تذهب إليه."

و لم يزد عن ذلك طوال الطّريق، وكأنّه يعاقبني على إهانتي غير المقصودة له. أدخلته أخيرًا مكتبي فتذمّر من عدم أخذه لغرفتها مباشرة، لكنّي أقنعته أنّها ربما تكون نائمة؛ لذا وجب الاطمئنان أوّلًا عليها. و بينما أدوّن ملاحظاتي الجديدة في دفتري إذ بالسّاعي يدخل حاملًا كوب العصير الذي طلبته للعجوز:

ـ" تفضل."

لم يحرّك يده، بل قال بملامح يبدو أنّ الصّبر قد غادرها:

ـ "هل تراني خواجة؟ أنا ابن تلك البلد تصنع لي شاي "فريسكا"!!."

ـ" ماذا؟!"

بدوت غبيًا أمام السّاعي الذي لم يستطع أن يخفي ابتسامته، وهو يجيب العجوز:

ـ "حالًا يا حاج."

فقلت، وأنا أقف:

ـ "سأذهب لارى إن كانت مستعدّة لمقابلتك أم لا؟"

ـ "ستوقظها؟! هذا عمل الممرّضة.!!"

لم أجد ما أعلّق به بعد إهانته هو الآخر، وقد قال جملته بعفوية، فغادرت المكتب متوجّها لغرفتها. كان يمكنني الاتصال بها، لكنّي أردت أن أرى ردّ فعلها إزاء معرفتها بقدوم العجوز. طرقت الباب قبل أن أسمع صوتها يدعوني للدّخول.. لمحتها تضع سجّادة الصّلاة على المقعد المجاور لسريرها:

ـ" حرمًا."

ـ" جمعًا إن شاء الله. أين عمّ سيّد؟!"

غزت الحرارة وجهي بسؤالها، ولم تسترني ملامحي أمامها، فقالت وهي تجلس:

ـ" لقد رأيتكما من الشّرفة. فلتدعه يدخل."

ـ" هو في مكتبي."

ـ" حسنًا.. انتظره وحده."

ثمّ وضعت ساقا فوق الأخرى واتّجهت بنظرها عبر النّافذة، فعدت إلى مكتبي فلم أجد العجوز بينما وجدت كوب الشّاي قابعًا وحده في المكان. سألت كلّ من بجوار غرفتي عنه لكن لا أحد رآه. و أخيرا عدت في يأس إلى غرفتها فطرقتها متخيّلًا ردّ فعلها الغاضب، لكن صوتها الحازم صدمني حين قالت:

ـ"لا داعي للقلق.. هو هنا.. سأطلبك حين يهمّ بالرّحيل لتوصله."

هنا أيقنت أنّها مثل "القطة البرّية" ترفض أن يقترب منها الأغراب.

.~.~.~.

(٧)

تملكين ابتسامةً خبيثة تجبرني على الضّحك رغم غيظي منك .. أستمتع كثيرًا بلعبتك، فهي و إن ضايقتني في كثيرٍ من الأحيان إلّا أنّها على عكس ما تريدين زادت من فرص تحليل شخصيتك. كم أتمنّى أن تسقط تلك الأسترة التي تحتجبين خلفها؛ لتصبحين لي كبيتٍ من زجاج.

لا داعي لتلك النظرة، فمكوثك هنا لن يستمرّ للأبد. و لابدّ من بداية من أجل النّهاية و لأنّك ترفضين الإفصاح عن مكنون قلبك، فلابدّ لي من أن أتحسّس خطواتي بداخل ظلامه الدّامي.

هذا العجوز مثلك .. كأنّ بينكما اتفاقًا روحيًا من نوعٍ ما، فهو لم يعطني سوى القدر القليل ممّا يمكن أن يفيدني.. لكنّكما استطعتما أن تشعلا فضولي بتلك الزّيارة، والتي أرى في عيني العجوز أنّها ستتكرّر قريبًا لو أعطاه "الله" العمر.

فكّرت كثيرًا في الرّابط بينكما فوجدت "الصّمت والسّخرية" هما ما يجمعكما .. يبدو أنّه قد علّمك الكثير

من تلك الدّروس.. لو لم تملكين نظرة والدك الحادّة لقلت:" إنّ هذا العجوز هو والدك الحقيقي"!.

ها قد عادت السّخرية تحتلّ ملامحك دون تعليق سوى بإثارة جينات الفضول بداخلي بإمساكك للدّفتر.. يبدو أنّ اليوم قد انتهى بالنّسبة لنا معًا.. لذا أراكِ حين تطلبيني. تصبحي على خير" أيتّها "القطّة البرّية".

.~.~.~

(٨)

اليوم يأكلك الفضول من تكرار زيارة العجوز لي دون أن تعرف مسبقًا.. و إلّا ما خالفت قرارك بزيارتي محاولًا السيطرة على مجريات الأحداث بنفسك.

يبدو من ارتعاشة صوتك، واحمرار جفونك أنّ السهاد رافقك الليلة الماضية. هل كنت تفكّر في شفائي لتتباهى بمعجزتك الخارقة في علاجي السّريع، أم في وحدتك التي احترفها من أجل هذا الصّرح الطبّي؟! عن نفسي أنا اليوم أسعد طفلة في العالم ،بل قل:" الطفلة المدللة التي لن تكبر أبدًا". أمّا هذا الصّرح فلا يساوي شيئًا، حتّى تتنازل من أجله عنها.

لا تتوجّم هكذا، فأثر "الدبلة" حول يدك لم يُمْحَ بعد.. حقًا أنت الذي يحتاج لطبيب!!.. لذا دعنا من محاولاتك الفاشلة في علاجي، ولنتحدث عنك قليلًا، فربما أكون طبيبتك!!!.

.~.~.~.

(٩)

يا إلاهي.. ها هي تضعني أسفل مجهرها.. تريد الغوص داخل أعماقي لتطّلع على مكنونه.. تَقْلبُ الأوضاع لتكون طبيبتي .. ليس رغبة منها في وقف نزيف سنواتي المستمر، بل هربا من شفائها الذي لا يُوجد أسهل منه!.

تجبرني أن أهرب منها كي لا تستدعي ماضيي الحاضر دائمًا.. فلا تعالجني و لا أعالجها.. كم نحتاج معًا لمن يفكّ طلاسم ذلك القاتل المطبق على روحينا! نتحرّر من استعذاب الآلام كأنها حلوى عيد ميلادنا.. نصرخ بحقائق لطالما أخفيناها عن أنفسنا.

تشغلني حالتها عن التفكير كثيرًا في "صاحبة الدبلة".. لكنّها أبدًا ما منعت تدفّق الذّكريات الكثيرة على عقلي، فلا أزال كلّ ليلة أردّد نفس الأسئلة: "هل مازالت تحمل نظراتها الأخيرة لي؟! و أين أنا الآن منها؟ "

.~.~.~.

(١٠)

صباح الخير أيّتها العنيدة.. علمت أنّ العجوز زارك بالأمس.. لكن يبدو أنّ زيارته تلك المرّة لم ترق لك كما توقّعت.. هل حمل لك نبأً سيئًا؟ هل الأخبار عن أولادك؟! إذًا زوجك؟! حسنًا .. حسنًا.. طليقك! يبدو أنّ مزاجك اليوم معكرٌ لأقصى حد.. لكنّي لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإقرار أنّ كلّ شيءٍ لا بدّ أن يبدأ بخطوة عمليّة منك بدلًا من الاستسلام.. لذا سأعود لوعدي لك، ولن أزورك حتّى تطلبين الحديث. و لكن قبل أن أغادر دعيني أخبرك أنّ شيخوختك النّفسية تزحف على ملامحك أسرع من تقدّمك في العمر.

.~.~.~.

(١١)

لم أكن أتوقّع أن أقف عاجزًا أمام دفترها دون أن أجرؤ على قراءته ،كما حدث هذا الصّباح.. حركة ذكية منها لتختبر ثقتها في.. و رغم علمي بخطورة قراءتي له إلّا أنّ الفضول كاد يجعلني أقرأه لولا تعقّلي قبل خطوتي الأخيرة باتجاهه.

بالأمس أخبرتني الممرّضة المكلّفة بمراقبتها أنّها تهرب من رقابتها باستمرار؛ لتفاجأ بها تتجوّل في أركان المستشفى.. تستطلع أخبار المرضى، و تتحدّث إليهم كأنّها الطبيبة المالكة لها.

خطوة جيّدة في علاجها لجأت بنفسها إليها اليوم .. فقد أقرّت برغبتها في الحديث معي قليلًا.. غير أنّ الشّكّ يستبد بي من غرضها من وراء ذلك اللّقاء الذي حدّدت توقيته ومكانه...

.~.~.~.

(١٢)

ما هذا؟! إن ما تفعلينه الآن هو آخر ما يمكن أن أتوقّعه.. بل قولي:" ليس له عندي مجال من التوقّع".. ماذا حدث من أجل هذا التغيير الفجائي؟! .. بل أيّ مكيدة تدبّرين؟! إنّ الدفتر بين يدي هو دفترك لا محالة، فملامحه محفورة في عقلي لا تغادره قط.. لذا لا ذرّة شكّ عندي في كونه هو. هل تعبتِ من المراوغة؟! تلك فكرة بعيدة بُعْدَ السّماء عن الأرض لمن يملك شخصيتك.. هل قررتِ أخيرًا الشّفاء؟! إذًا لماذا؟!

إنّ ضحكتكِ تلك توحي بالكثير.. لذا قبل أن أقرأ هذا الدّفتر أخبركِ أنّ كلّ ما حصلت عليه من ملاحظات عنكِ باتت ميتةً من تلك اللّحظة.. لذا أطلب منكِ ألّا تسأليني عن رأيي قبل أن أستوعب ما سأقرأه. و لكن أخبريني هل أتممتِ كتابة كلّ شيء أم سأفاجأ بتوقّف الكلام في منتصف الأحداث؟!

حسنًا.. حسنًا.. لا داعي لنظرتكِ تلك فهي كافية لإخراسي، وسأكتفي بما كتبتِ في الدّفتر لأرسم بخيالي ما لم تكتبيه، وما كتبته بين السّطور.

.~.~.~.

الفصل الثاني

الدفتر

(١٣)

يقولون: "إنّي الكبيرة بفارق ساعتين، وإنّي قد خرجت للدّنيا ركضًا.. فقد كانت والدتي تعدّ الطّعام لأبي، ولم أمهلها الفرصة لتعرف بقدومي، فقد صرخت وجاء أبي، وأنقذها وأنقذني بأعجوبة؛ لذا أطلق والدي عليّ اسم "سهام" بمجرّد أن حملني بين يديه، أمّا "سما" توأمتي فقد كانت هادئة حتّى في ولادتها، فقد حاول جارنا الطّبيب الشابّ الذي لم يكن قد أكمل امتيازه بعد التدخّل في ولادتها، لكنّها تمسّكت بالرّفض، كأنّها تعلم أنّ الحياة ستصيبها بالكثير من الهمّ فيما بعد، حتّى جاءت أخيرًا بعد أن وصل طبيب والدتي، وكأنّها كانت تنتظره.. لذا لم يخلُ الأمر دائمًا من تذكيري بولادتي العجيبة كلّما اختلفنا، وقد كانت خلافاتنا كثيرة!.

.~.~.~.

(١٤)

"سهام "و" سما".. طفولة عجيبة حملناها معًا بمتناقضاتنا منذ لحظة ولادتنا، فرغم كوني الأكثر تهوّرًا إلّا أنّي كنت الأوفر حظًا حتّى في عقابنا على كوارثنا الطّفولية، فلا يمرّ يوم دون أن أطلق أحد سهامي المخرّبة في منزلنا؛ لتكاد تودي "بسما" التي لم تكن تفعل سوى الشّيء الذي أكرهه بشدّة فيها:"الصّمت".

كنت "سوبر طفلة"، فلو شممت رائحة عطر في المكان عليك أن تعلم أنّي قد أفرغت كامل الزّجاجة على جسد أختيّ المستسلمة. و لو رأيت أوراق والدي ممزّقة، فلتعلم أنّ المقص الذي بيد أختيّ هو بإيحاءٍ منّي و النتيجة دائمًا واحدة.. تعرّضها للعقاب، وتحمّلها الألم في صمت!!.

مسكينة "سما"، فقد تذوّقت البؤس والشّقاء علي يديّ، فلم يسلم حتّى شعرها منّي، وهو أمر لا تنساه أبدًا كلّما مشّطته، ففي أحد أيام الطّفولة الجميلة لم أتركها حتّى أصبحت "صلعاء" بحجّة بحثي عن سر شعرها الأرجواني المخالف للون شعر رأسي النّحاسي، يومها صرخت والدتي بمجرد رؤيتها، ولم أكن في ذلك الوقت مستيقظة، بل كنت أغطّ في نومٍ عميق؛ لذا لم تستطع أن توقظ الملاك الصّغير من النّوم حتى تعاقبه، ولولا والدي

الذي وصل في وقت مبكّرٍ في ذلك اليوم، لكانت فتكت بي.. "بالطّبع لم يكن لي ذنب في الأمر، فقد كنت ابنة الخامسة وقتها"، كما قال لها أبي.

و من بين ذكريات الطّفولة تحضرني دائمًا تلك الواقعة التي لا تنفكّ والدتي تذكّرها لي عندما أمرض دائمًا، ففي سن السّادسة أصبت "بالحصبة"، و فرضت وقتها حراسة مشدّدة عليّ، بل وحدّدت إقامتي الجبرية بحيّز غرفتي فقط، و سمحت لي على مضض بدخولي الحمّام، ولو كان بيدها شيء لمنعتني لكنّه الخوف فقط على رائحة المنزل!.

كانت والدتي قد عزلتني في غرفتي و منعتني من الاقتراب من أيّ مخلوق، بل و منعت أيّ مخلوق من الاقتراب منّي .. كأنّني "جرثومة" يجب القضاء عليها!.. بينما صحُبتْ "سما" للمبيت معها في غرفتها، وكانت "سما" قد وجدتْ أخيرًا طريقة لتحطيم أعصابي الفولاذية حيث أخبرتني من خلف باب غرفتنا أنّ والدتي تأخذها كل يوم في أحضانها لتنام بينها و بين أبي، على عكس ما كانت تفعل والدتي معي باستمرار.

ـ" لا أحد ينام بيني و بين والدك".

هل كنت أترك الأمر يمرّ مرور الكرام؟! بالطبع لا، و إلّا كنتُ تخلّيتُ عن شخصيتي و اسمي... يومها سهرتُ حتّى استمتعتُ بصوت شخير "والدي" للمرّة الأولى والأخيرة في حياتي، ثمّ خرجتُ متسلّلة حتّى غرفة والديَّ، وانزلقت بين أختي ووالدتي؛ لأستمتع بأحضالها وحدي و نمت في سعادة لأستيقظ فزعة على صوت صرخات كلّ من حولي.

شهر بالتمام لم يغادر فيه أيٌ من أربعتنا المترل بعد أن تفشّى المرض بيننا، و توقّعت أن أنال عقابي لكن والدتي اكتفت يومها بما أشعر به من آلآم المرض.

و هكذا تتوالى الكوارث الطّفولية بين الكوارث الخفيفة والكوارث المروعة؛ لذا لا تكفّ والدتي عن إخباري أنّي أسوء مخلوقة ولدت على البسيطة، بل إنّها دائمًا ما أعلنت شكوكها المستمرّة في كوني "عفريتة" في الوقت الذي كانت تلقى "سما" فيه أعلى مراتب المعاملة، وكأنّها الأميرة الوحيدة في مترلنا!!!.

.~.~.~.

(١٥)

كان فراقنا أنا و توأمتي هو درب من الجنون.. لم نكن متماثلتين في الشّكل، و لم تكن لنا نفس الرّوح، بل خُلقْنا كوجهين لعملة واحدة؛ لذا لا يمكن الفصل بينهما رغم تناقضهما... ف"سما" رمز الطفولة البريئة.. تعد الوجه الحالم من العملة.. الهادئة.. الخجولة.. المتفوّقة والمجتهدة، بينما أنا كنت الطفولة في أبشع صورها، ورغم ذلك كنت الأكثر واقعية.. النّشطة .. الجريئة التي لا تتوقّف عن الحركة والضّحك، والأوفر حظًا دائمًا.. و رغم ما كنت أملكه من مخزون من "التفكير التخريبي" إلا أنّي تمتّعت بحبّ الآخرين لي؛ لذا ظلّ هذا الحبّ هو حمايتي من العقاب.

لم تقتصر شهرتي أيام الطفولة على أسرتي الصّغيرة .. فقط يكفي أن تذكر اسمي أمام كبير عائلتنا حتّى ترى تقلّص ملامحه، وتسمع وابلًا من الدّعوات لي بالهداية! .. لن أقص عليكم أكثر من ذلك على الرغم من جعبتي المليئة بالقصص التي تصلح لعمل مجلدات و قواميس لتعلّم فنون التخريب و التدمير!. فأنا أريدكم بكامل وعيكم لتستطيعوا سماعي حتّى النّهاية.

.~.~.~.

(١٦)

هل كنت متفوقة في دراستي بقدر ذكائي؟! سؤال لم يكن له سوى إجابة واحدة هو: "أنّي أصبت بغباء الذّكاء. نعم.. قمة الغباء أن تكون ذكيًا دون ذكاء، وقد كنت أنا في الدراسة تلك الشخصية.. و بالطبع كنت عكس توأمتي، ففي الوقت الذي كنت أفعل فيه التوافه من الأمور كانت هي تنكّب على الكتب؛ لتنهشها نهشا ولكن تأتي النتيجة دائمًا بأن نحمل نفس المجموع تقريبًا!!!.

كنت شديدة الذّكاء فيما يخصّ كلّ شيءٍ حولي، لكنّي كنت أمقت كلّ شيءٍ أيضًا، فمن فرط ذكائي كنت أشعر بغباء التعليم خاصّة مع ما يحدث مع أختي المجتهدة التي كنت أشفق عليها كثيرًا.. لذا مارست الغباء على أوسع صوره خلال مراحل تعليمي المختلفة، وكدت أخرج عن دائرة المجموع المتقارب معها حتى جاء البعبع.

والبعبع لمن لا يعرفه هو:" الثانوية العامّة".. لم أكن أخشاه كما يفعل باقي الطلبة وقد كانت أختي مثل باقي الطلبة، أما أنا فكنت لا أقرب الكتب سوى ساعتين يوميًا بالإضافة للدروس المُشتركة. و حين اقترب ميعاد الامتحانات زاد الوقت ساعتين، وخلال الامتحانات

أصبحت المذاكرة ست ساعات كان يتجنّبني فيها كلّ من في المترل حتّى لا أغادر مجلسي.

بالطّبع توقع الجميع أن أُهْزَم أمام "البُعْبُع" ،وأن تتحطّم كلّ آمالي وطموحاتي التي لم يكن لها وجود من الأساس، فلم أكن أحمل في جُعبتي سوى السّير في الطريق الذي يرسمه لي القدر خطوة تلو الخطوة، فلم أكن أهتم بالتخطيط للمستقبل، فالمكتوب مكتوب مهما فعلت!.. لذا تركت نتيجتي تحدّد طموحي، وعلى العكس مني كانت توأمتي تضع كلّ ما يمكنها من خطط و أحلام و تعيش من أجلها فقط.. و نسيت أنّها أحلام!!!!.

كان يوم النتيجة يومًا مشهودًا، فطوال العام مناوشات مستمرة بيني و بينهم جميعًا في مترلنا.. الكلّ يقارن بين التّوأم.. و الكلّ يدعوا ل"سما" أن يُكَلِلَ "الله" مجهودها بالتوفيق، ويدعوا لي بالهداية و الستر حتّى لا أفضحهم بنتيجة مخذلة!.. مرّت الدّقائق و"سما" تكاد تنهار رويدًا رويدًا، و لم أجد بدًا من مواساتها و الضّحك معها، علّها تخرج من كآبة الانتظار.. لكنّها فضّلت القلق عن الضحك على النكات التي كنت أقصّها، وأخيرًا انسحبت لغرفتي لأتخلّص من هذا الجو الخانق من التوتر.

كان لزامًا علينا الذّهاب لإحضار النّتيجة. بالطبع رفضت أختي التحرّك من مقعدها الذي انكمشت فيه.. وحاولت والدتي تهدئتها غير أنّ "سما" استطاعت أن تنقل لها القلق لا العكس.. لم يكن والدي في المترل لذا كادت والدتي تطلبه على الهاتف للحضور،كي يذهب معي لمعرفة النتيجة لكنّي أقنعتها بعد جهد أنّ الأمر أبسطُ من حضوره، وتطوّعت وحدي للذّهاب وكان قرارًا حكيمًا، فلم يكن مكوثي معهما في المترل جيدًا على معنوياتي المرتفعة.

دخلت المدرسة.. لأُفاجأ بأعداد هائلة وكأنّه "يوم الحشر"!!. كلّ طالبة أحضرت معها ما لا يقل عن خمسة أفراد من عائلتها لطمأنتها أومواساتها، وبدأت النّتائج في الظّهور، وكانت مهزلة حيث توافد الجميع على نفس الحجرة للحصول على الشّهادة في نفس الوقت، وبدا المنظر وكأنّ المكان تحوّل لمخزن لتوزيع السّلع الغذائية أثناء الحرب. كان عليّ أن أنتظر كلّ تلك الجماهير الهمجية، حتّى أدخل كما كانت ستفعل توأمتي لكنّي فضّلت أن أحصل على حقّي بيدي. و خلال ثوانٍ معدودة كنت في الصّفوف الأولى، وفي يدي شهادتي و

شهادة "سما". و كما دخلت بقوة الذّراع خرجت بقوة الذّراع!!!!!.

وقفت آخذ أنفاسي للحظات، وأنا اسمع صوت الزّغاريد و الصرخات المنطلقة في آن واحد، وكأنّي أستمع ل"سيمفونية الحياة و الموت". استجمعت قواي المنهكة من معركة النّتيجة، وجلست في أحد الأركان أقرأ الشّهادتين.

.~.~.~.

كانت أكبر صدمة لي ما قرأته، و لم أكن اعرف كيف أتصرّف؟! هل أعود و أخبرهم أنّ الشّهادة سقطت من يدي، و لم أكن قرأتها بعد؟ أم أخبرهم أنّي لم أحضرها؛ لأترك لأبي مهمّة العودة لإحضارها؟ لكنّي في النّهاية قررت أن أواجه الموقف.

عرجت في طريق عودتي على دكّان "الحاج سيّد" ذلك الرجل العجوز الطيّب الذي يملك ركنًا صغيرًا في بداية شارعنا يملؤه بالبضائع، ويطلق عليه مجازًا اسم "دكّان".. سلّمت عليه كعادتي، ثمّ عاجلني قائلًا:

ـ" مبروك. صح؟"

كنت سعيدة بسؤاله، لذا طمأنته وطلبت منه زجاجات المشروبات الغازية، لكنّه عاجلني بزجاجتين من الشربات، فتأمّلت الزجاجتين للحظات، ثمّ قلت:

ـ"زجاجتين توأم صح؟!"

أطلق "العجوز" ضحكة صافية على مزاحي السّخيف، و حملت الزّجاجتين بيد، ولوّحت له بالشهادتين باليد الأخرى على وعد بالعودة مرّةً أخرى لإحضار (حلاوة) النّجاح.

رفعت رأسي، وأنا أسير في شارعنا لأجد والدتي وأختي يطلّان من الشّرفة، وعلى ملامحهما القلق جليا.. لوّحت لهما بسعادة فاحتفيا.. و قد كان توقّعي صحيحًا، فقد استقبلتني أختي عند مدخل العمارة، والبوّاب خلفها يهلّل قائلًا:

ــ" ناجحين إن شاء الله."

كان يطمع في (الحلاوة)؛ لذا قلت وأنا أجذبها من ذراعها؛ لنصعد شقّتنا:

ــ" زغرد يا "سعد"، وإلّا لن تنال (الحلاوة) و أنت تعرفني."

بالطبع انطلقت زغرودة على استحياء منه، لكنّني التفتّ له قائلةً، وعلى وجهي ابتسامة شيطانيةً:

ــ "وآسفاه على الرّجولة، تزغرد من أجل (حلاوة)؟!!!!!"

ثمّ صعدت السلالم ركضًا، وأنا أسمع حشرجة صوته المتذمّر مما فعلته به، بينما تحاول أختي اللّحاق بي و هي تتمنى قتلي، كي ترى الشّهادة لكنّني تجاهلت يدها التي تحاول خطفها، وأكملت صعودي.

استقبلتني والدتي عند مدخل الشّقة، وقد ابيضّ وجهها من الانتظار، فدخلت الشّقة قائلةً، وهي في أعقابي ومعها أختي التي اِكْفَهَرّ وجهها ممّا أفعله بها:

_" فلندخل كي لا تكون فضائحنا علنية."

أطلقت والدتي شهقة وهي تكاد تفقد وعيها، وقالت بفزع:

_ "رسبتِ؟!"

لم أجاوبها، فأكملت:

_"لقد حذّرتك كثيرًا، لكنكِ لا تستمعي إلا لصدى صوتك فقط."

لم أجاوبها.. فقط ناولتها شهادتي، وناولتُ أختي شهادتها، وقلت وأنا أفتح الثّلاجة لأشرب شيئًا يقلّل من جفاف حلقي:

_" للأسف خيّبت ظنّكم بي، ونجحت."

التفتّ إليهما فوجدت ما توقّعته، أختي في حالة ذهول و قد حبست دموعها، بينما والدتي تكلّمني بسخط:

_" سوف يكون أجلي على يديكِ. !!!!"

_" لا تقلقي سأموت قبلك.!!"

اندفعت باتّجاهي وملامحها توحي بنية الانتقام مني، لكن يبدو أنّها تذكّرت نجاحي، فقد انفرجت أساريرها قائلةً، وهي تمدّ ذراعيها للأمام:

ـ" ألف .. ألف مبروك، فلتأتي لأقبّلك، و الآن ضمنت لكِ كلّية "العلوم" مع أختك. "

ابتلعت ريقي بصعوبة مع جملتها الأخيرة، وهي تضمني لصدرها و أخيرا أبعدتني عنها، بينما قالت وهي تجذب "سما" إليها، وتضمّها إلى صدرها هي الأخرى:

ـ" مبروك سما. دائمًا متفوّقة. كم المجموع؟"

لم ترد كعادهَا فقط ناولتها الشّهادة لتقرأها. هنا انسحبت إلى غرفتي لأترك لهما حرّية التعبير عن حزنهما."

ـ"حظوظ."

.~.~.~.

(١٨)

كان الوقت يمر دائمًا بيني و بين "سما" في جدالٍ حول أي الأسلوبين أصلح لمعاملة البشر. فتوأمتي كانت دائمًا صبورة.. تترك الكثير من الفرص للآخرين.. تحسن النّية دائمًا بالغير.. أما أنا فكنت شكّاكة.. لا أثق في النّاس بسهولة.. و تعلّمت من مناوشاتي مع زملائي و زميلاتي في المدرسة أنّ خير وسيلة للدّفاع "الهجوم".. و قد كنت دائمة الهجوم، فلم يسلم أحد من هجومي خاصّة زملائي الذّكور في مدرستنا الثانوية المشتركة الأمر الذي جلب لي الكثير من المشاكل داخل المدرسة، حتّى صرت ضيفة شبه يومية عند المديرة؛ لذا كان دخولي الجامعة هو الأمل لهم جميعًا في تحوّل مجرى حياتي. فهل تحوّلت؟!

.~.~.~.

(١٩)

المرحلة الجامعية أعتبرها مرحلة مملّة بكلّ ما تحمله الكلمة من وصف على عكس ما سمعته عنها، فمنذ أن اتّخذت قراري بدخول كلية "العلوم"، وأنا أعدّ نفسي على هذا الملل؛ لذا لم أشعر بجديد حين صادفني بها. أمّا أختي فقد فاجأها التنسيق بكلّية "الآداب" -جامعة "المنصورة" بالطّبع رفضت والدتي، وبالطّبع استسلمت هي كالعادة و لم تعترض، والتحقت أخيرًا بكلّية الشعب_ "التّجارة"، وأصابها الملل لكنّه لم يكن من نفس نوعي.

و ملل أختي يتلّخص في "دكاترة" أصابهم الكبر والغرور، يهتمّون بتعذيبهم لأقصى حد و مناهج تعليمية عقيمة لا تضيف لعقولهم سوى الجمود بالإضافة لجفاف عاطفي مستمر. بينما أصابني الملل من هؤلاء الطّلبة ذوي العقول الفارغة. فقبل أن تبدأ المحاضرة الأولى بدأت أشعر أنّي "حشرة" تحت المجهر من قبل زملائي الشّباب، فالجميع يريد مشاهدة صاحبة الضّحكة التي تنطلق مجلجلةً في أركان المكان.

أتذكّر ذلك اليوم جيدًا، فبعدها بعدّة أيام اتّخذت أوّل القرارات الحاسمة والهامّة في حياتي؛ حيث توقّفت عن الضّحك أمام الشّباب، وأصبحت أُعْرَف فيما بعد

بصاحبة "الوجه الخشبي" نسبة لملامحي التي أصابها الجمود. و بعد أن كان الجميع يتلفت بحثًا عنّي وجدت الجمع قد انفض، و لم يتبقّ لي سوى فتاة و شاب جيران في الكلّية والمنزل. و قد اكتفيت بهما، و رغم ذلك لم يخلُ وقتي تمامًا من بعض المناوشات من قبل الزّملاء في محاولة منهم لاختراق ذلك الحاجز الذي بنيته حول نفسي بالإضافة لهوايتي الأبدية في إفساد الحياة على الآخرين بالمقالب الشّيطانية، والتي دائما ما يبحثون عن فاعلها الشّبح!!!!.

و هكذا مرّت سنوات الجامعة في سرعة الصّاروخ بين" محاضرات و معمل و تجارب و مؤتمرات"، حتّى كانت السّنة الأخيرة و قد اتفقا الشابّ والفتاة على الزّواج، وتمّت إعلان خطوبتهما، فانسحبا تاركين إيّاي وحدي دون صديق. يومها شعرت بالوحدة كما لم أشعر من قبل، وفي محاولة منّي للهروب من ذلك الشّعور الذي كاد يسيطر على عقلي المرهق بعد أن صرت وحيدةً بلا أصدقاء.. ذهبت للمرّة الأولى أبحث عن أختي في مدرّجها.

كان حضوري إليها مفاجأة لم أُعوّدها عنيها.. لذا ما إن رأتني وأنا ألوّح لها بسعادة بلهاء حتّى سارت بخطواتٍ واسعة في اتّجاهي، وما إن وصلت عندي حتّى

انفعلت للمرّة الأولى في وجهي.. طالبة إياي بمغادرة المكان حتّى لا أفسد صورهّا بين زملائها.

أعتقد أنّها توقّعت يومها أنّ حضوري هو أحد مقالبي التي لم تسلم منها يومًا، فقد صدق المثل القائل:

" ـيموت الزمار و إيده بتلعب.!!!"

و قد كنت دائمًا "الزّمّار" رغم ما اكتسبته من جدّيه.

كان كلامها صدمة لي، فغادرتُ الكلّية سريعًا، وعدتُ لمنزلنا لأتأثر للمرّة الأولى بكلامٍ يُوَجّه لي منها. يومها أطلقت أولى دموعي الحقيقية.. لا دموع التّماسيح التي كنت أستعيرها دائمًا في مواقفي معها.

و أخيرًا قرّرت أن أتحدّاها وأصنع لنفسي مجموعة تضمّ بعض الشّباب خاصة من زملائها. فقمت و غسلت وجهي، ووقفت أبتسم لنفسي في المرآة وعلى وجهي رأيت علامة النّصر مرسومة. و بينما أستمتع بالتّخطيط إذ بجرس الهاتف ينطلق، فانطلقت بسرعة الصّاروخ لأرد عليه كما يحلو لي أن أفعل فكادت والدتي التي اصطدمت بها في طريقي أن تقع ..لكن ما إن وصلت إليه حتّى وقفت أنظر له، ثمّ قلت لوالدتي و أنا أعود لغرفتي في هدوء و قد تملّكها الذّهول من تصرفي:

ـ" إذا كانت "سما" أخبريها أنّي عدت و نائمة كالملائكة."

و رغم دهشتها سمعتها من خلف الباب تردّ عليها و تخبرها بما قلته، و أخيرًا سمعت طرقات على الباب، فادّعيت النّوم، ورأيت والدتي من خلف أهدابي واقفة عند مدخل الغرفة تتأمّلني، ولسان حالها:

ـ" شكلك الملائكي لا يقنعني أنّكِ لا تدبّرين مُصيبة!!."

ثمّ انصرفت، فاستكملتُ نومي في سعادة من اكتمال الخُطّة برأسي.. و حين عادت "سما" في المساء .. ألقيت عليها جزءًا من مسرحية "البؤساء"، و اتّهمتها بالخيانة الكبرى لي، و تقمّصت أدوار "يوسف بك وهبي" كلها، فما كان منها إلّا أن بكت طالبةً منّي الغفران كأنّها المذنبة الأبدية.. لكنّي لم أستطع رغم ذلك أن أفسد على نفسي لذّة الانتقام .. لذا شرعت في اليوم التّالي في تنفيذ خطّتي رغم مصالحتها لي، فاخترت أجمل ثيابي، وقمتُ بربط حجابي بطريقة مبتكرة وجذّابة، ثمّ انطلقتُ في طريقي للكلية وفي الطّريق استمتعتُ للمرّة الأولى بالتعليقات التي حُذت عنها، والّتي تؤكّد لي أنّي سأنجح بتفوّق في مخططي.

نظرتُ في ساعتي فوجدتُ ميعاد المحاضرة الأولى قد حان، والوقت مازال مبكرًا جدًا، فدخلتها على أن أبدأ تنفيذ الخطّة بعد المحاضرة الثّالثة، لكنّي انشغلت بشدة ما بين المحاضرات و المعمل و أخيرًا المناقشة مع "الدّكتور" فيما يخصّ بحثي. و لم أسلم طوال اليوم من المعاكسات حتّى من فرّاش المعامل. و أخيرًا عدتُ متهالكة إلى منزلي دون تحقيق شيء.

أسبوعين و أنا على هذا الحال. أذهبُ كلّ يوم إلى الجامعة وأنا على استعداد للتنفيذ، لكن تأتي الظّروف معاندة لي، وكأنها تحمي "سما" منّي. و الظروف تتغيّر كلّ يوم عمّا يسبقه حتّى أنّي أقسمتُ في اليوم الحادي و العشرين على يوم إعداد الخطة أنّي سأنفذها لا محالة، فتركت كلّ الكتب في منزلي، ولم أعد نفسي لأيّة محاضرات أو معامل أو أبحاث. و قمت بإعداد مظهري جيدًا بعد أن قمت بشراء ملابس جديدة.

غادرتُ شقتنا و أنا أُمنّي نفسي بالنّصر الوشيك الذي سيتحقّق أخيرًا، وبينما أنزل السّلالم إذا بقدماي تنزلقان لأتدحرج كالكرة على درجات السّلالم جميعًا، وأستقرّ في النّهاية متكورةً أمام باب شقّة جيراننا أسفلنا. من المؤكّد أنّ توأمتي استخدمت تعويذة مضادّة لخططي!!!.

_"آه. ماما."

.~.~.~.

(٢٠)

بعض البشر يحتاجون لحادثة ليتحوّلوا للأفضل، وبعضهم يحتاجون لمعجزة ليتحولوا للأفضل، وبعضهم يحتاجون للاثنين معًا، وقد كنتُ من الفئة الثّالثة، فقد حدثت الحادثة المعجزة يوم وقعت كالكورة على السلالم.

شهر في الجبس لم أفعل فيه شيئًا سوى التأمّل.. كان أكثر شيءٍ أتأمّله هي ملامح أختي، وهي تساعدني بحبٍ وإخلاصٍ في كلّ شيء بدءًا بالطّعام، و انتهاءًا بالمذاكرة.

كان تخصّصها كطالبة "تجارة" شعبة "محاسبة" بعيدًا كلّ البعد عن تخصّصي كطالبة في كلّية "العلوم" قسم "فيزياء"، لكنّها دأبت على الذّهاب كلّ يومٍ بدلًا منّي لكلّيتي لحضور محاضراتي، ومتابعة كل ما يخصّ دراستي بل والعودة ليلًا، لشرح كلّ شيء لي كأنّها خبيرة في مجالي!..

لقد تحوّلت توأمتي ذات رداء الصّمت إلى أستاذة ثرثارة، ولم يقتصر شرحها على الأمور العلمية، فكثيرًا ما حدنا عن الدّراسة للحديث في شئون مجتمعنا؛ لأحدها

تمتلك معلوماتٍ لم أكن أملك ربعها رغم شهرتي الثّقافية!!.

لو قُدِّرَ لي الاختيار لاخترت أن أكون تلميذة في محراب الصّمت لو كان سيجعلني مثلها.. لذا أعتبر أنّ الثلاثين يومًا تلك هي أجمل أيّام حياتي حيث أعدتُ اكتشاف توأمتي. لكنّها تركت فيّ أثرًا آخر كان له دورٌ في حياتي فيما بعد.. فقد أصبت بفوبيا السّلالم الأمر الذي عانيت منه يوميًا طوال فترة دراستي، وسبّب لي الكثير من السّخرية من قِبَلْ أسرتي، وكان انتهاء الامتحانات بمثابة هدنة لتلك المهزلة المستمرّة.

.~.~.~

(٢١)

تعلّمنا منذ كنّا طلاب أنّ من يعمل بعد التخرّج مباشرةً هو من يملك مفاتيح الحظ، لذا هيّأنا أنفسنا على ألّا نتطلّع للأفضل.. راضين بباب الأمل المغلق.. فماتت ستة أشهر من حياتي بعد التخرّج و أنا أمارس طقوس الكسل بهمّة، فقد تأكّد الدّرس لي في الشّهر الأول بعد تخرّجي.. "نعم للواسطة" .. "لا للتفوّق".

تكاثرت شهور اليأس حتى بلغت خمسة عشر شهرًا، فقرّرت أن أتنازل عن تفكيري في العمل كي لا يغادرني الحظّ في باقي شئون حياتي أيضًا.. لكنّ القدر كان يحتفظ لي بهذا الخطاب الذي غيّر كلّ شيء.

كان الخطاب يحمل شعار مؤتمر ما، ففضضت الظّرف لأجد أنّ الحظّ عاد لي فاتحًا ذراعيه.. فقد كنت مدعوّة لمؤتمر تشغيل أوائل الخريجين في تخصّصي، ولأنّ الحظّ حليفي لحقت بالخيط الأخير من أوائل الدّفعة فقد كنت "العاشر" مكرّر.

اليوم الأول للمؤتمر كما توقّعت .. مليء بالكثير من الثّرثرة التي ليس لها معنى.. توالت المحاضرات دون أن يفصل بينها أكثر من ربع ساعة.. لكن ما لفت نظري

بشدّة هي تلك "الماسورة" من البنات التي انفجرت في المكان وكأنّ كلّ بنات "مصر" قد تخصّصن في مجالي، و لم يخلُ الأمر من ردود أفعالٍ ذكورية مختلفة ما بين معاكساتٍ فاضحة، ونظراتٍ لاهثة يحاول أصحابها كبتها.. و قد نلت حظّي من الاثنين.

غادرتُ المؤتمر وكأنّني دخلتُ مؤتمرًا آخر، فلم أسمع لفظ تشغيل أوائل الدّفعات قط.. لذا قررتُ ألّا أذهبْ في اليوم التّالي فالنّوم أثمن من ذلك الهراء.. لكن توأمتي قامتْ بما يمليه عليها ضميرها دائمًا.. فقد أيقظتني معها لأتابع استعداداتها قبل اللّحاق باليوم الأوّل لعملها.

جلستُ في السّرير أتذمّر، لكن هيهات أن تسمعْ غير صوت أشيائها، وهي تنظّمها بحقيبة يدها التي بدتْ كالمخزن. و أخيرًا تراجعتُ عن قراري مرغمة.. و كان تراجعي هو بداية فصل جديد من حياتي.

.~.~.~.

(٢٢)

لم يكن اليوم الثّاني بأقلّ في مللـه من اليوم الأوّل للمؤتمر.. لكن ما صبّرني عليه هو لقائي بصديقتي المخطوبة وحدها.. فقد كان خطيبها في عمله، بينما هي جاءت لتنال فرصة عمل تساعدهما في حياتهما الزّوجية المقبلين علي عتبتها.

كنّا نتناول بعضًا من الفطائر المُحلّاة التي يقدّمها المؤتمر مع الشّاي حين شهقت فجأة، وهي تنظر خلفي.. التفتُّ بحركة سريعة في اتّجاه بصرها حيث الباب.. فلم أجد غير شخصين يسيران خارجين منه .. أحدهما طويل القامة، نحيف قليلًا، شعره ناعم، وطويل كالبنات.. غير أنّ جسده الرّجولي، وملابسه طغيا على مظهره بشدّة. والآخر يقصره بفرق سنتيمترات، لكنّه بدا ضخمًا نوعًا ما.

تعجّبت من شهقتها، لكنّها تعجّبت أكثر منّي لعدم معرفتي بالرّجلين.. حاولت أن أتذكّر أين رأيتهما، لكنّني لم أجد بين طيّات ذاكرتي ما يُنبئني أنّي قد التقيتُ بصاحبنا الحصان_ هكذا أطلقت على الرّجل النّحيف ذو الشّعر الطّويل.

و أخيرًا يئستُ من التذكّر، فسألتها:

ـ" فلتخبريني.. ماذا تعرفين عن الحصان هذا؟"

ـ" الحصان؟!"

ـ"نعم.. صاحب الشّعر الطّويل النّاعم. والذي يبدو كذيل حصان."

أطلقتْ صديقتي ضحكة لفتتْ المحيطين لنا.. فكتمتها سريعًا، وقالتْ بخبث:

ـ" ولماذا أنتِ مهتمة به وحده؟ ألأنّه وسيم؟!"

ـ" نعم.. ظهره وسيم بشدّة."

ثمّ ضحكنا، وأخيرًا أخبرتني أنّ هذا الرّجل هو "آية منصور". كانت تلك هي المرّة الأولى التي ألتقي فيها برجلٍ يُدْعَى "آية".. فأصابتني دهشة قرأتها صديقتي، فقالت:

ـ"ربّما هو الوحيد في "مصر" الذي يحمل هذا الاسم."

حاولت أن أربط بين اسمه ومظهره، فهززت رأسي من الفشل، لكن يبدو أنّ صديقتي فهمت تلك الهزّة على أنّها رغبة في إنهاء الموضوع؛ لذا غيّرت مجرى الحديث

كلّية و عدنا للحديث عن العمل ومشاكله، فتناسيت فضولي اتّجاه الحصان. و كان حديث الأصدقاء هو كلّ ما خرجت به من المؤتمر لعدّة أشهرٍ تالية.. قبل أن أتلقّى خطابًا من "المركز القومي لتكنولوجيا الإشعاع" الذي كان ضمن المراكز الرّاعية للمؤتمر بضرورة حضوري؛ لاستلام عملي الجديد.

يومان .. ثلاثة ولقائي بمدير المركز يتأجّل كلّ مرّة لانشغاله، وأخيرًا قرّر المركز أنّ مثلي أعظم من أن تنتظر لمقابلته؛ لذا بدأت العمل في اليوم "العاشر" مباشرة.

كانت الأقسام داخل المركز كثيرة، و لم أكن أعلم في أيّ قسم سأستلم عملي، لكنّي لم أعبأ، فأخيرًا سأبدأ حياتي العملية، وأخيرًا سأستلم بعد شهر بالتّمام أوّل راتبٍ لي.

أسبوعان و أنا أتنقّل بين الأقسام. كلّ يوم أجد نفسي بين عدد جديد من العلماء والباحثين و الدّكاترة، وعلى عكس المؤتمر كان كلّ من قابلتهم من بنات خلال الأسبوعين "ثلاثة فقط"، وكأنّهنّ اكتفين بالشّهادة لتكون واجهتهم أمام أزواج المستقبل.

أخيرًا قرّر المركز عملي بقسم "البحوث"، والذي يُعَدّ الأكبر حجمًا والأكثر أهمّية به، ويحتلّ وحده خمسة

أدوار. كلّ دور يشرف عليه عالم كبير ينوب عنه ما لا يقل عن أربعة نوّاب. و جاء القرار باستلامي بالدّور الأخير من القسم بمثابة مطرقة أُنزلَت على رأسي بقوّة.. و كأنّهم يعرفون خوفي من الأدوار العليا، فيتعمّدون إغاظتي، و للمرّة الأولى أجلس على مكتبي الجديد.

لم يكن المكتب بالجديد؛ لذا شعرت أنّ البداية غير مبشّرة بالمرّة لكنّي لم أعبأ، فلابدّ أن أُثبت جدارتي واستحقاقي لعملي لأمحي فكرة جنوني.. تلك الفكرة التي رُسختْ لسنوات في عقل عائلتي كلّها.

ظلّتْ الأفكار تروح وتجيء على عقلي عمّا سيكون عليه مستقبلي، ولم يستمرّ جلوسي هذا أكثر من خمس دقائق، حتّى فوجئت بمن يدخل قائلًا بصوتٍ حازم:

_ "المكاتب ليست للتأمّل .. فلتذهبي للمعامل فورًا."

ثمّ غادر صاحب الصوت قبل أن أستوعب الأمر.. لكنّي لمحته قبل أن يختفي من فرجة الباب نهائيًا.. إنّه هو الحصان لا محالة، فليس من السّهل ألّا أتذكّر مشيته على الرّغم من عدم رؤيتي له إلّا مرّة واحدة من ظهره، فقد تركتْ تلك المرّة أثرًا غريبًا في نفسي، وسؤالًا دائمًا يلحّ عليّ: "هل يمكن أن أقابله يومًا ما لأرى وجهه؟!!"

لم أكن أؤمن بالصّدف من قبل.. لكن تلك الصّدفة و سماعي لصوته جعلاني أتأكّد أنّ هذا الشّخص سيكون له بصمة في حياتي التي أصابها الرّكود منذ تخرّجت في الجامعة.. لذا غادرت مكتبي فورًا للمعمل يدفعني ذلك الإحساس غير أنّني لم أصادفه طوال اليوم، رغم بحثي عنه حتى علمت أخيرًا أنّه يجلس في مكتبه لإعداد بعض التقارير.

حاول فضولي أن يدفعني للذّهاب إليه بأيّة حجّة، فالفرصة متاحة لمحادثته دون مقاطعة مع انصراف الجميع غير أنّي قاومت رغبتي لشعوري أنّ الأمر سيكون مفضوحًا جدًا له.. لذا أخذت حقيبتي و غادرت.

قبل النّوم في المساء تذكرت ما قاله جاري في المعمل عنه:

_" لو بيده الأمر لأحضرنا يوم الأجازات أيضًا.!!"

أغلقت عيني على صوته في واقعة هي الأندر، فلم أكن من النّوع الذي يصطحب التفكير معه للنّوم قط.. غير أنّ صوته قد أتاني تلك الليلة في الحلم مُحذّرا إيّاي من الاقتراب منه.. بالطّبع استيقظتُ يغلبني الضّيق من إزعاجي بتلك الطّريقة، فعلى عكس "أحتيّ" التي تلازمها

الكوابيس كظلّها كانت الأحلام الوردية دائمًا ما تلازمني.

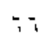
وصلت أبكر ممّا توقّعت على الرّغم من ازدحام الطرق، لكن يبدو أنّي قد غادرت المنزل أبكر من اللازم. لم تكن المصاعد قد عملت بعد، فلزم عليّ أن أصعد على السّلالم الأمر الذي كاد يجعلني أعود للمنزل، فلم يكن هناك مكانٌ يصلح للانتظار لحين حضور عامل المصعد لتشغيله.

هل أصف لك مغامرة مصابة بفوبيا السلالم؟! أعتقد أنّ الوصف لن يفي الأمر حقّه؛ لذا دعنا منه لما هو أهم وقد كان الأهمّ هو ما لم أضعه في الحسبان، فما إن وصلت للدّور النّهائي حيث مكتبي و المعمل حتى كان جسدي كله ينتفض، فجلست على آخر سُلمة لألتقط أنفاسي اللّاهثة غير عابئة بالأتربة التي ستلوّث ملابسي، لكن ما إن أرحت رأسي على الحائط، وأغمضت عيني حتّى سمعت صوت من لم أكن أتمنّى أن يراني في تلك الحالة:

ـ" هل أنت بخير؟!"

فتحت عيني ووقفت بسرعة لأنفض ملابسي بمجرّد أن سمعت صوته قلقًا من خلفي.. غير أنّي ما إن لمحت السّلالم أمام ناظري حتّى تذكرت واقعة الكسر. فمادت بي الدّنيا و لم أشعر إلا بيده تأخذني بعيدًا عن السّلالم.

.~.~.~.


٦٦

الفصل الثالث

(٢٣)

أخيرا انتهيت من الدّفتر.. أجزاء كثيرة لم أستطع فكّ طلاسمها من بشاعة خطك.. هل كنت تتعمّدين الكتابة بتلك الطّريقة، أم أنّه ينطبقُ عليك مقولة:" إنّ خط العباقرة سيء للغاية؟!

أكثر ما لفت نظري تلك الملكة العبقرية في وصف المشاعر و الأحداث كأنّك روائية محترفة. ألم أخبرك من قبل أنّ موهبتك خاملة تحتاج أن يُطلق لها العنان؟! نصيحة منّي دعيها تنطلق.

حاولت كثيرا أن أعرف أيهما أنت؟! "سهام" التي تتحدّثين على لسانها، أم "سما "التي تملك الكثير من صفاتك لكنّي لم أصل لنتيجة، فكلّ منهما تحمل جزءًا منك وكأنّك أردتِ أن تخبريني أنّ لك شخصيّتين في جسد واحد متعب. هل أجدتُ التحليل؟ أم أنّي لا أملكُ خيالًا خصبًا مثلك؟

نظراتك المضطربة تخبرني أنّي على وشك استخراج كلّ ما تريدين إخفاءه.. كم أتمنّى أن تكون استنتاجاتي صحيحة.. فأنا من تعب من مراوغاتك. و الآن ها هو دفترك، فلتكملي ما بدأته وأنا في انتظار الجديد.

.~.~.~.

(٢٤)

كنت أتوقّعك أكثر ذكاءًا.. لكن صدمتي وأنت تسلّمني الدفتر فاقت رغبتي في البكاء على ما لم أكتبه.. شهرين بالتمام قد أتممتهما اليوم، ولا جديد فعلته من أجلي.. لم تبحث أكثر من عتبة الحقائق التي قدّمتها لك على طبق من ذهب.. لم تحاول أن تسألني عن عملي أو حياتي، أو تنقّب خلفي مكتفيًا بملاحظات الممرضات اللّاتي أطلقتهن خلفي في كلّ مكان أتجوّل فيه بالمستشفى، أو ما أخبرتك به وما قرأته بالدفتر كأنّك خائف من غضبي. هل تخاف من كل مرضاك هكذا؟!

إن تخلّيك عنها هو أفضل جائزة لها .. فلو كان قُدّر لها البقاء معك لماتت كمدًا من حقيقة كسلك.. يقولون: إنّك الأذكى في مجالنا، لكنّي أقول:" إنّك أذكى المجانين و أغبى العقلاء".

فليلتوي وجهك كما يحلو لك فلا شيء سيثنيني عن رأيي.. فلا أنت ستتغيّر ولا الواقع سيتبدّل، ولا الحقائق ستموت.. نعم هي لن تموت بداخلك و أنت لن تموت بداخلها، لكن شواطئكما لن تتلاقى أبدًا. هي عرفت ذلك حين طلبتْ المجد عوضًا عنها.

و الآن عليك أن تعرف أنّها من دلّتني عليك.. هي من نصحتني بك طبيبًا فذًا.. هي من قالت عنك الشّعر حتى دفعتني لقبول المهمّة.. مهمّة الشّفاء على يد أفشل طبيب عرفته البشرية.. أيّها الطّبيب الفاشل :"وداعًا".

.~.~.~

(٢٥)

كانت ثورته أشبه بغضب البركان.. فلم أجنِ من حواري معه سوى كلماته التي حملتها معي، وأنا أغادر:

ـ" أيّ جنون تنطقين به! و أيّ لعبة تلعبانها معًا.. تعتقدين أنّي سأنهار باعترافكِ ذلك؟! أنْ أطلب منكِ إخبارها بندمي! هيهات.. هي من دفعتني لكلّ ذلك.. و الآن فلتغادري المستشفى فورًا."

لم يكن حضوري للمستشفى لعبة تمارسها مريضة نفسية تحاول الخروج من شرنقة رجلٍ عشقته حتّى الثّمالة، كما أعتقد في تلك اللّحظة لكنّ حياتي في ذلك الوقت كانت حقًا أشبه باللّعبة السّخيفة التي مارستها كطفلة متوقّعة أن تستمتع بها.

لم أوقفه عن السّباب الذي ألقاه على مسامعي وقتها، و لم أنفجر فيه أكثر مما انفجرت وكأنّي قد اكتفيت بما أخرجته في وجهه من ثوراتٍ خاملة لسنين مضت في لحظة قبل أن أخمد للأبد.

.~.~.~.

(٢٦)

غادرتُ المستشفى أجرّ أذيال غضبي.. لم أعرف أيّ اتجاهٍ أسلك؟ فقد كنت ثائرةً على نفسي لصراخي في وجه الطّبيب..هل أردتُ أن أخرج شحنات غضبي، فكانت كلّها من نصيبه بدلاً من طليقي؟ هل مازالت أعشق الأخير، وأخاف على مشاعره كما كنتُ أفعل دائمًا؟!!

أوقفتُ تاكسي، وألقيت بجسدي المتعب به بعد أن أعياني الوقوف في هذا البرد القارص.. ظللت أنظر للسّائق متحيّرة في المكان الذي سأختاره لأبيت ليلتي تلك. فكّرتُ في غرفة بأحد الفنادق الكبرى، والتي لم تطأ قدمي أيًا منها قط لكن لم يرقني الأمر.. ثمّ وثب إلى عقلي منزلي، حيث طليقي والطّفلين، فهززت رأسي نافضةً منه تلك الفكرة المجنونة، وأخيرًا نظرتُ للسّائق الذي بدا على وشك طردي من "التّاكسي"، وقلت:

ـ" المعادى."

تراخيتُ في جلستي بعد قرار العودة لمنزل أسرتي على الرّغم من أنّ الأمر لا يخلُ من مواجهةٍ بيني وبين والديّ. و تزاحمتْ ذكريات عشر سنوات على عقلي كأنّها

وجدت فرصتها الوحيدة للصّعود إلى السّطح، فكان أكثر ما يحرقني تلك الذّكريات الجميلة التي هدمتُها حين تغاضيتُ عن مواجهة طلايقي بأيٍّ من أخطائه، حتّى ملأت حياتنا فكان الانفجار. و لوهلة شعرت أنّني لم أختلف عن الطّبيب في شيء. فكم هربتُ من مواجهة الحقيقة!

كم أشتاق إلى "حسن" و" جمال"، وهما يصرخان حولي كلّ صباح بصوقمما الطّفول، وخناقاتهما التي لا تنتهي قط.. و كم أحتاج "عادل" حين أفتحُ عينيّ في الصباح، فيمزّقني الحنين إليه حين لا أصطدم بملامح وجهه النّاعسة دوما. لكنّي اخترت الأفضل لهم.. ربّما ليس الأفضل لي.. بل ربّما أنا أكثر المتضرّرين من الأمر، لكن لعلّ ما فعلته يجدي نفعًا.

وصلتُ أخيرًا قبالة باب شقّة والديّ، وقفت لبرهةٍ جامدةً، وكدت أتراجع لكنّي طرقت الباب ليُفتح و يُطل عبره والدي بملامحه المصدومة، ودون أن أشعر ارتميت في حضنه، وتركت لدموعي حرّية التعبير عن كلّ شيء.

أدخلني، وهو يحمل حقيبتي في يده اليمنى، ويطوّقني بذراعه اليسرى كأنّه يخشى وقوعي. لم أتوقّع أن يعاملني هكذا بعد ما حدث.. فقرأ الأمر في عينيّ، فقال:

ـ" أنتِ ابنتي ،حتّى لو غضبت من تصرّفاتك."

ثمّ طبع قبلة على جبيني، وضمّني مرّةً أخرى لصدره، قبل أن يبعدني و ينادي على والدتي التي جاءت مهرولة على صوته القائل بحضوري، وهي تمسح يديها في مريلة المطبخ من أثر الصّابون.. و ما إن رأتني حتّى تعانقنا في وصلةٍ من البكاء الحار.. فهدّأ والدي من روعنا، وأجلسنا قائلًا:

ـ "كُفا عن البكاء، فقد ذرفنا الكثير منه."

مسحتُ دموعي و دموع والدتي، وأنا أقول:

ـ"أعلم أنّي سبّبت لكما الكثير من المشاكل، ولكنّي أحاول إصلاح الأمور فاصبرا عليّ قليلًا."

ـ" حسنًا همس.. و لكن لا داعي للمستشفى مرّة أخرى."

ـ" أبي .. اترك لي حرّيّة التصرّف كما عوّدتني دائمًا، وسأحاول أن أكون عند حسن ظنّك."

ثمّ قلت، وأنا أستند بظهري على الأريكة:

ـ" لن أعاتبكما على عدم زيارتكما لي في المستشفى، فقد أخبرني عمّ "سيّد" بسفركما لأختي. هل هي بخير الآن؟!"

ـ" نعم.. و ستلد الشّهر القادم ـبإذن اللهـ."

قالتها والدتي بينما وقف والدي حاملًا حقيبتي، وقال وهو يتّجه لممر غرف النّوم:

ـ "هيا لترتاحي، وغدًا لنا حديث."

فقالت والدتي سريعا، وهي تقف:

ـ "سأعدّ لنا العشاء، ولكن قبل أيّ شيء فلتتصلي بأختك.. ألم تشتاقي لها؟!"

نظرت لها كي لا تلومني، فأختي هي من لم تسأل عنّي قط، وكانت الأكثر معارضةً لي، فقالت وقد فهمت نظرتي لها:

ـ" يا ابنتي.. زواجك كان صدمة، وطلاقك كان صدمة، ورغبتك في المستشفى كان صدمة.. لذا اعذريها قليلًا، فلها زوج يحاسبها على سوء اختياراتك دون ذنب."

ـ" حسنًا."

.~.~.~.

(٢٧)

بدا صباح اليوم التّالي لن ينتهي أبدا رغم تعمّدي المكوث في السّرير حتى أذان "الظّهر"، استسلمت لإلحاح والدتي ، وغادرته أخيرًا و حصلت على حمّامٍ دافئ كنت أشتاق له بالأمس، لكن إرهاقي و نومي بملابس خروجي حال دونه.

بدا عقلي في حالة نشاط مفرط منذ لحظة استيقاظي، فلم يتوقّف عن استرجاع كُلّ ما مررت به من أحداث منذ التقيت ب"عادل" في حفلة زواج صديقتي حتّى لحظة شجاري مع طبيبي، ومغادرتي المستشفى.

و أخيرًا قرّرت ألّا أفتح الموضوع مع أحد حتّى أستقر على رأي، فأقنعت والديّ أن يتركاني حتى أتّخذ قراري على وعد بإطلاعهما بالأمر قبل أيّ تنفيذ، ورغم ذلك لم أستطع أن اتّخذ القرار قط، فكلّ يومٍ يراودني الحنين لملاقاة "عادل"، وكلّ يوم أتمنّى لو لديَّ القدرة للحديث مع أحد عن عذاباتي دونً جديد.

كنت قد نسيت الدّفتر تمامًا منذ عدت لأسرتي؛ لكن حوار الطّبيب الأخير معي ظلّ يتردد على عقلي لعدّة أيّام، فأخرجته من حقيبتي، وجلستُ على السرير مرّةً أخرى عليّ أكمل ما بدأته.

.~.~.~.

"صدمة" .. هي أهَشُّ كلمة يمكن أن تصفُ مشاعري في لحظة مغادرة "همس" للمستشفى، أمّا "التشوّش" فهي كلمة هيّنة لما اعترى عقلي وقتها، فطوال عشرة أيام تالية كنتُ كالغسّالة الكهربائية التي اختفى زر إطفائها للأبد، فكان نومي أشبه بفكرة مجنونة يطرحها الآخرون عليّ .. بينما العمل ثمّ العمل، ثمّ العمل هو غذائي طوال تلك الأيّام، حتّى سقطتُ مغشيًا عليّ لأمكث طريح الفراش في أحد غرف مشفاي، و رغم ذلك لم أستطع منع عقلي من مراوغة الحوار الأخير بيني و بين "همس" لي طوال الوقت.

لم أكن قد تماثلت للشفاء تمامًا حين غادرت سريري في ذلك اليوم متوجّها لمكتبي.. ظللت ما لا يقل عن ربع ساعة أفتّش بين أوراقي عن شيءٍ حاول نائبي أن يعرفه دون جدوى.. و أخيرًا أمرته بطريقةٍ قاسية لم تصدر عنّي من قبل:

ــ" اتركني وحدي فورًا. أنسيت أنّي رئيسك ولست مريضك؟!!."

فغادر الطّبيب يهز رأسه آسفًا على حالي، بينما لم أتوقّف عن البحث حتّى توقّفت قائلًا بسخرية:

ـ" غبي.."

و التقطتُ هاتفي المحمول مستدعيًا رقمًا منه وقفت أمامه بضع ثوانٍ متردّدًا قبل أن أتّصل:

ـ" ألو."

خرج صوتي مرتجفا لكنّ الصوت الذي آتاني عبر السمّاعة جعلني أتصبّب عرقًا، فقد كان صوتًا رجوليًا رغم الاسم الأنثوي المسجّل به الرّقم، فقلت بتردّد:

ـ" دكتورة شهد من فضلك."

ـ" البقاء لله وحده. ألم تعرف بالخبر؟!!"

ارتميت على أقرب مقعد لي، وأنا على وشك فقد وعيي حتّى جاءني الصّوت عبر الهاتف قائلًا:

ـ" ألو.. ألو .. أمازلت معي؟!"

خرجت الكلمة من بين شفتيي ممزّقة:

ـ" ن..ع..م."

ثمّ قلت، وأنا آخذ أنفاسي بصعوبة:

ـ" متى حدث هذا؟!"

ـ" منذ شهرين."

ـ "هل مرضت؟!"

ـ"لا، قضاء الله و قدره."

فكان هذا هو آخر ما سمعته منه."

.~.~.~.

(٢٩)

جعلتني الصّدمة أشعر بالأجواء الباردة حولي حارّة كالجحيم، فلم تثنيني الأمطار التي كانت تهطل بشدّة عن ذهابي لـ"همس" خاصّة، وقد فشل الجميع في إقناعي بعدم الخروج في هذا الوقت المتأخّر.

وصلتُ أخيرًا أمام باب شقّة والديها، وعلى الرّغم من أنّه لم يكن هناك ودّ بيني و بين والدها الذي فتح لي الباب، إلّا أنّه لم يستطع منعي من الدّخول أمام مظهري المزري.

ارتميت على الأريكة في غرفة المعيشة فاقدًا القدرة على الحديث من الإرهاق، فدخلت "همس" الغرفة بمجرّد سماع صوت والدها ينادي، وما إن رأتني حتى ألقت تحية سريعة عليّ ، ثمّ غادرت لبضع ثوانٍ و عادت حاملةً كوبًا من الحليب السّاخن، ودواءًا مقوّيًا تناولتهما بعد إلحاحٍ منها.

انتهيت من تناول الكوب، لكن الصّمت لم ينته من المكان.. كانت العيون كلها مترقّبة لما سأبرّر به زيارتي لكنّي لم أتحدّث، فأخذت "همس" تنظر إلى والدها آملةً أن يتركنا قليلًا للتحدّث، فظهرت علامات الاعتراض

على ملامحه ،لكنّه أذعن لطلبها الصّامت ليجلس على مقربةٍ منّا حيث يراقبنا من فرجة الباب، فما إن جلست حتّى انطلق لساني دون أن أشعر.

.~.~.~.

(٣٠)

توقّعتُ كلماته بالنّص:

ـ" لماذا؟! لماذا آثرتِ الموضوع مادمت تعرفين بموقها؟! لماذا جئت ؟! و لماذا غادرتِ بتلك الطريقة المأساوية؟! هل أردتِ الانتقام لها؟! أكانت صديقتك لتلك الدّرجة؟! فلتخبريني فأنا ما جئت اليوم إلّا لأسمعكِ، و لن أبرح مكاني هذا إلّا حين أعرف كلّ شيء، فلن يثنيني جفاء والدك، ولا توتّر والدتك، ولا صمتك المستفز. تحدثي أيّتها الصّامتة أي شيء تخفينه عنّي؟!. "

للحظات أحسست بكلامه كمخدّر نثره على لساني؛ ليعجزه عن الكلام لكنّي رغم ذلك أخبرته، وأنا أعلم أنّه لن يفهم ما أعنيه في ظلّ ثورته المستمرّة عليّ، وعليها، وعلى نفسه.

.~.~.~.

كانت عيناها لا تستقرّ على موضع، وهي تستمع لكلماتي التي تخترقها فتزيد من حيرتها، لكنّها أمام أسئلتي لم تستطع التزام الصّمت، و قالت:

ـ" هي من طلبت منّي ذلك. فلم يستطع زوجها الثّاني أن يمتلك قلبها مثلك، فكانت آخر كلماتها قبل أن تفارق الدّنيا عنك.

و ذكرت كلمات شهد مردّدةً إيّاها بالحرف:

"ـ همس.. لا تنسي إسلام. عالجيه و سوف يعالجك!!!."

ـ"...؟!"

ثمّ أومأت برأسها قائلةً:

ـ" نعم .. فأنا طبيبة نفسية. "

انتفضت واقفًا، شاعرًا كأنّ نارًا ملتهبة تخرج من حدقتاي، فصرخت كما لم أصرخ من قبل:

ـ" و مرضك؟ و كلّ ما حدث؟! تمثيل؟! "

بدت باردة لي، وهي تجيبني بهدوئها المعتاد، بينما الغضب كان يستبدّ بي:

ـ" لا شيء تمثيل .. و "شهد" رأت أنّ خير علاج لك أن تعالج مريضةً لها نفس مرضك. و لأنّي كنت أُعَالَج لديها، فأشارت عليّ بالأمر، ووافقت."

ـ "لم أعد أعرف ما هو مرضك الحقيقي؟ ،وما هو مرضي ذلك الذي تتحدّثين عنه؟!!!.. بل لم أعد أفهم ما تقوليه.!!!"

.~.~.~.

(٣٢)

كانت تلك الجلسة بما دار فيها من حديث غير متوقّعة لي. و تمنّيت لو أستطيع العودة مرّة أخرى، لأكمل حديثي المقطوع معها لكن ما عوّضني عن عجزي أمام تدخل والدها بسبب صراخي الهستيري، و تأخّر الوقت و اضطراري للمغادرة هو ذاك الدّفتر الذي فاجأتني للمرة الثّانية بتسليمي إيّاه، وها أنا أحميه داخل جاكيت بذلتي حتّى لا يبلّله ماء المطر.

لم يكن الجو الماطر يسمح بالسّير في الشّوارع، لكنّي رغم ذلك لم أعبأ بل سرت أُداعب قطرات الماء المنهمرة على وجهي الذي ملأته ابتسامة واسعة بلهاء، وكأنّني في نزهة نهارية ربيعية مشمسة. كان ردّ فعلٍ لا يتناسب مطلقًا مع غضبي منذ لحظات.

ركبت أخيرًا سيّارة تاكسي، وعدت للبيت. ألقيت السّلام على والدتي الجزعة لما وصلها من مغادرتي المستشفى في هذا الجوّ على قدماي، ثمّ دخلتُ غرفتي، وهي تلاحقني لتخلع عنّي معطفي المبلّل غير أنّي لم أحتمل تواجد أحد معي في تلك اللّحظة، فطلبت منها وجبة ساخنة لتدفئتي، ثمّ أغلقتُ الباب خلفها بمجرّد أن غادرتْ.

ارتديتُ ملابس دافئة، ثمّ جلست على السّرير ضامًا الدّفتر بيديّ كأني أحميه من لصوص مجهولين، ثمّ أخذت أتطلّع إليه. كنت بين شقي الرّحى، فالإرهاق والتّعب يأخذاني لغيابهما، والفضول ينتزعني لأقرأه، و أخيرًا حسم جسدي الأمر، فانسحبت والدتي بصينية الطّعام مطفئة نور الغرفة و مغلقة الباب.

.~.~.~

(٣٣)

تركت والدي يتناقشان حول زيارة طبيبي "إسلام" في ذلك الوقت المتأخّر، وما صدر منه من صراخ كاد يوقظ سكّان الحي، ودخلت غرفتي. تدثرتُ بأغطية السرير لكنّني لم أستمتع بدفئها في هذا الجوّ العاصف من كثرة التفكير. و لوهلة أوشكتْ دمعة أن تهرب من عيني، لكن ما إن تقلّبتُ على جانبي الأيمن حتّى وأدتها ثمّ تمتمت بآياتٍ قرآنية قبل أن أغمض عيني المرهقة.

توقّعت أن يغافلني النّوم فاستسلم له، لكنّه لم يزرني قط تلك اللّيلة، فغادرت سريري حتّى موضع حقيبتي. تحسّست الأشياء بداخلها دون أن أوقد النّور، ثمّ أمسكت بشيءٍ و أخرجته، وعدت لسريري أتأمّله.

لم يكن هذا الشّيء سوى هاتفي المحمول الذي توهّج في الظّلام الدّامس، فأفزعني أن يُرى ضوؤه من أسفل عتبة الباب، فدسسته أسفل الأغطية، وأنا أداعب أزراره حتّى وصلت إلى ذاكرته، فتوغّلت بها وصولًا لملف الصّور.

كانت الصّورة الأولى التي استقبلتني هي صورة "حسن" و" جمال" ولداي. تأمّلتهما .. كان يشاركاني

في لون شعري الفّاحم، وجبهتي العريضة و أنفي الشامخ دون أن يأخذا شيئًا ولو صغير من ملامح والدهما.

ظللت أتحسّس صورهما كأنّني أتحسّس وجهيهما الحقيقيّ، وأخيرًا انتقلت إلى الصّورة التّالية التي كانت تضمّني معهما بالإضافة إلى زوجي .. أقصد طليقي. لم أستطع أن أنقل نظري عنه، بينما يتتابع المشهد الأخير بيننا قبل مغادرتي منزلنا حيث ظللت يومها أصرخ فيه طالبةً الطّلاق، بينما هو يحاول تهدئتي؛ لينتهي فشله بنطقه للكلمة البغيضة لاحقة لأجمل كلمة سمعتها منه:

ـ "أحبك ... همس أنتِ طالق."

ثمّ طلاقي الرّسمي منه.

مسحتُ دمعة هربتْ من عينيّ، ثمّ أغلقتُ الهاتف نهائيًا مقاومة رغبتي في سماع صوت ثلاثتهم. وضعته بجوار السّرير مفكرةً كيف طاوعتهم قلوبهم على عدم السّؤال عنّي كلّ تلك الفترة؟! و تزايدت الأسئلة التي طالما راودتني في ليالي السّابقة:

"ـ هل هم بخير؟ هل سعداء؟ كيف تسير حياتهم؟ هل نسوني؟"

أغلقْت عينيّ واضعة البطانية فوق رأسي هربًا من التفكير فيهم غير أنّي سمعت صوت طرقاتٍ ضعيفة عند الباب. فتحت عينيّ فرأيت ظلًا من أسفل عتبته، فقلت و أنا أمسح وجهي بطرف بيجاماتي كي لا يتبقّى أيّ أثرٍ من الدّموع عليه، وأنا أجلس في السّرير:

ـ "ادخل."

فُتح الباب، فأطلّ والدي عبره، ثمّ أضاء النّور فبدت ملامحه مصدومة، فقلت بفزعٍ مغادرةً السّرير:

ـ "ماذا حدث؟ هل والدتي بخير؟!"

ـ" إنّها بخير، فلترتدي ملابسك، فوراءنا مشوار يجب أن نذهب إليه."

نظرتُ إلى ساعة الحائط، ثمّ قلت و أنا أبحث عن ملابسي:

ـ" ماذا حدث؟ هل أختي بخير؟ "

ـ "نعم بخير. هيّا ارتدي ملابسك، و سنتحدّث في الطّريق."

ثمّ تركني و خرج.. و بينما أرتدي ملابسي إذ بهاتفي المحمول يطلّ علي رأسي. التقطته من مكانه، وقد ساورني القلق ففتحته و كدت أتّصل بزوجي لأطمئنّ على

الولدين حين رنّ الهاتف باسمه. انتفض قلبي و أخذت أنظر للهاتف كمن ينظر إلى خطاب يحمل بداخله مصيره، و أخيرًا رددت.

ـ" سلام عليكم."

كم أتمنّى أن أعرف سرّ رغبتي الدّائمة للبكاء بمجرّد سماعي لصوته رغم محاولاتي الكثيرة الفاشلة لتخطّي تلك الحالة. حاولت بكلّ قوّتي أن يبدو صوتي باردًا الأمر الذي لم يكن يتناسب مع انتفاضة جسدي، وتعرُّقي بغزارة.

ـ" همس أين أنتِ الآن؟!"

زاد سؤاله الغريب بصوته المتوتّر من توتّري، لكنّني ضغطت على أعصابي لأبدو قويّة قائلة:

ـ" ما هذا السّؤال الغريب؟!"

في تلك اللّحظة دخل والدي الغرفة، وتناول منّي الهاتف قائلًا له قبل أن يغلقه:

ـ" سنأتي حالًا."

لففت طرحتي دون أن أسأله عمّا يحدث لعلمي أنّ هناك سيّئًا سيخبرني به لا محالة؛ لذا كنت أحاول إعداد نفسي على استيعابه حتّى لا أنهار، فالأمر يخصّ "حسن"

و "جمال" دون شك. و أخيرًا غادرنا الشقّة بينما والدتي واقفة عند عتبة الباب راجية والدي أن ينتظرها حتّى ترتدي باقي ملابسها، لكنّه أبى الانتظار.

توالت السيناريوهات على عقلي فيما يمكن أن يكون قد حدث، فكاد بعضها يأخذني لحافّة الجنون، فطلبت تفسيرًا من والدي الذي ظلّ يبحث في جيبه عن المفاتيح قبل أن يجدها، ويقول:

ـ" انتظري حتى نصبح داخل السيّارة."

للمرّة الأولى في حياتي أشعر بالقلق كحيوانٍ ينهشني في لحظات الانتظار تلك، والتي لم تدم لأكثر من دقيقة بدت لي كسنواتٍ من الحبس الانفرادي.

جلسنا أخيرًا في السيّارة، فقلت بعصبية بدت أقرب للصّراخ، وأنا أخطف المفاتيح من يده:

ـ" لن نبرح مكاننا حتّى تخبرني ماذا حدث؟! و أين سنذهب؟! وما علاقة طليقي بالأمر؟! وهل الأولاد بخير؟!"

ثمّ غلبتني دموعي التي بدا حضورها سهلًا بكثرة تلك الأيّام بعد سنواتٍ من الجفاف، فقلت بصوتٍ منكسر:

ـ "أرجوك والدي."

لحظات صمته كادت تعصف بي، بينما والدي يجزّ على أسنانه بصورةٍ أوصلت توتّري لذروته، ثمّ قال أخيرًا:

ـ" لقد أخذ الولدان هاتف زوجك المحمول.."

ـ"طليقي والدي.. طليقي."

ـ" نعم طليقك .. ليتّصلا بك، لكنّهما تشاجرا حول من فيهما سيقوم بالاتصال، وبينما كانا يركضان وراء بعضهما تزحلق "جمال" على السّيراميك، فكسرت قدمه.!"

لم أعلّق بشيءٍ وجلست باعتدالٍ في هدوء، بعد أن اطمئنّ قلبي فالكسر أرحم ألف مرة ممّا رسمه خيالي حول ما حدث. أطلقت زفرة حارّة قبل أن أُناول والدي المفاتيح بهدوء:

ـ" لقد كدت تقتلني رعبًا."

ثمّ شخصت ببصري عبر نافذة السيارة ،وقلت:

ـ "هيّا بنا."

و مارست هوايتي الأبدية طوال الطريق.

.~.~.~.

وصلنا أخيرًا المستشفى، فقابلنا طليقي ووالدته و الطفّلان، وهما على وشك المغادرة. ركضتُ في اتّجاههم دون أن أنطق بكلمه.. فقط أخذتُ ابني من يده وحملته وأخذت أقبّله، ثمّ جلست على أقرب مقعد لأضمّ الآخر لصدري، أمّا والدي فقال بانفعالٍ لطليقي:

ـ" إذا كان قرارك أن تغادر المستشفى، لماذا لم تتصل لتخبرنا؟!"

فردّت والدة طليقي على والدي بانفعالٍ هي الأخرى:

ـ" لقد نسينا. ألم تتعرّض للنّسيان قط؟!"

هنا تدخّلتُ بينهما؛ لتهدئة المُوقف:

ـ "المُوقف أكبر من أن تتشاجرا."

ثمّ قلت لطليقي:

ـ" سوف آخذ الولدين معي لأرعاهما."

لم تعطه والدته الفرصة ليجيب:

ـ" لا.. لقد تخلّيتِ عنهما، وحصلت على الطّلاق. إنّك لا تستحقينهما.!"

هنا انتفضت واقفة، وقلت بحسم كأنّ وحشًا بداخلي أيقظته كلماتها موجّهةً كلامي لطليقي:

ـ" الحضانة لا تسقط عن الأم إلّا إذا تزوّجت، وهما ولداي و سآخذهما. يمكنك أن تزورهما من السّاعة السّابعة مساءً حتّى التّاسعة إذا أحببت. انتهى نقاشي معك. هيّا والدي."

و تركناهما في ذهولهما من ردّ فعلي غير المتوقّع، وغادرنا بالطّفلين أحمل الصّغير المكسور، بينما الكبير ممسكًا بيد والدي على يمينه، و بيده اليسرى ممسكًا بيدي. في حين تناهى إلى سمعي اعتراضات والدة طليقي التي لم أعيرها اهتمامًا.

.~.~.~.

(٣٥)

وصلتُ إلى المستشفى في صباح اليوم التّالي، وأنا أكثر توتّرًا من ذي قبل، لكنّي رغم ذلك بدوت هادئًا للجميع كعادتي. دخلت مكتبي و مارست عملي كأنّ ما حدث الأيّام السّابقة قد شُطبَ من ذاكرتي للأبد، فتفقّدتُ المستشفى ومرضاي، ثمّ تناولت غذائي مع بعض الأطبّاء، وأخيرًا أنهيت عملي في العاشرة مساءً لأعود سريعًا لبيتي كي أختلي بالدّفتر.

كان توتّري قد انزوى مع مشاغل العمل، لكنّي ما إن دخلت غرفتي حتّى تصاعد التوتّر من مرقده. غيّرت ملابسي سريعًا، وتناولت وجبة عشاء خفيفة مع والدتي التي حاولت أن تعرف سبب سلوكي المتغيّر، فطمأنتُها كعادتي بأنّ قوّتي كافية لتخطّي أيّ أزمة، ثمّ قمت بتغيير الموضوع سائلًا إيّاها عن أحوال أخواتي و أبنائهم، فأخذت تقصّ كل ما وصلها من أخبارٍ عنهم في الأيّام السّابقة، ومن زارها في غيابي؟، وكيف كانت مغامرتها حين قرّرت أن تنزل السّوق - الذي لم تزره منذ عشر سنوات - مع الخادمة لتشتري الخضار بنفسها؟!

حاولتُ أن أضحك على حكاياها السّاذجة المحبّبة إلى نفسي دائمًا، لكنّني لم أستطع تلك المرّة بل قلت دون مقدّمات:

_" لقد ماتت شهد منذ شهرين، بعد أن تزوّجت بآخر."

اختفت الابتسامة من وجهها دون أن تعلّق بكلمة، لكنّها رغم ذلك بدت أكثر هدوءًا ممّا توقّعت، فقلت:

_" ألم يصدمك الخبر؟! ألن تترحّمي عليها؟! أذكر أنّكِ أحببتها أكثر منّي في وقتٍ ما.!!!"

خرجت الكلمات بطيئة من شفتيها لتصدمني بقوّة:

_ "منذ أن علمت الخبر، وأنا أترحّم عليها."

_ "علمت؟!"

_" نعم.. لقد كنت على اتّصال مستمرٌ بها، و قد اتّصلت أختها، وأخبرتني بوفاها بعدها بعدّة أيّام."

لم أعرف ما ردّ الفعل المناسب الذي يجب أن أتّخذه في تلك اللّحظة.. هل أغضب لعدم إخباري بالأمر؟! ، لماذا أغضب؟، وبأيّ حقّ و أنا من طلب منها ألّا أسمع أيّ خبرٍ عنها؟! هل أصمت مطويًا الموضوع في ذاكرتي؟!، وهل كنت أفعل أيّ شيء طوال حياتي سوى

الصّمت؟! و أخيرًا غادرتُ مجلسي لفشلي في اتّخاذ ردّ فعلٍ محدّد، لكنّها لحقت بي مدافعة عن نفسها:

_" إسلام يا ولدي لا تُشعِرُني بالذّنب، فأنتَ من تخلّى عنها لا أنا. و أنت من صمّم على الانفصال رغم معارضتي الشديدة له، أم نسيتْ؟!"

لم أجبها، فأكملت بصوتٍ أكثر انفعالًا:

_" لقد أحببتها أكثر من بناتي، وأنت نفسك لم تشتكِ يومًا من سلوكها، و لم تفعل لك ما يهين فقرك، لكنّه شعورك بالنّقص هو ما أفقدك اتّزانك، فلا تلم غير نفسك."

أغلقتُ غرفتي عليّ بالمفتاح، بينما ظلّت كلماتها تدور بعقلي، وكياني كلّه يدور معها. جلست على السّرير مُسندًا رأسي على ظهره، فزاد كلّ شيء من الدّوران، فغيّرت ملابسي وغادرت المترل، وقد فشلْتُ كلماتها في منعي.

لم أتّجه لمكان محدّد.. فقط أخذتُ أتجوّل على قدماي، وقد ساعدني صفاء الجوّ في تهدئة نفسي كثيرًا.. جلست في مطعمٍ صغير مطلًا على النّيل، حيث احتسيتُ كوبًا من الشّاي مفكّرًا فيما كان خفيًا عنّي طوال تلك السّنوات.. و لوهلة تجلت الحقيقة أمام عينيّ.

.~.~.~.

الفصل الرّابع

عودة الدّفتر



(٣٦)

القوّة والحنان من الصّعب أن تقابلهما في مكانٍ واحد معًا، لكن في ذلك اليوم حين كدت أفقد توازني بفعلِ "فوبيا السّلالم" تعرّفت على تلك اليد التي تستطيع أن تمزج الاثنين معًا في لمسةٍ واحدة، والتي لم تكن سوى يد الدكتور "آيه منصور"، أو كما أحب أن أطلق عليه "الحصان".

أجلسني رئيسي على أقرب مقعد، ثمّ تركني و غادر، ولم تكن "الدّوخة" تسمح لي بالنّظر لوجهه أو حتّى التفكير في الأمر. لكن ما نزعني عن الشعور بالتّعب ليس الفضول، و لكن شعور بالخجل هزّني بقوة ممّا يمكن أن يعتقده في تلك اللّحظة من أنّي فتاة مدلّلة لا تصلح للعمل في مجالنا العلمي الحسّاس.

أخيرًا وقفتُ لأتّجه إلى مكتبي، وقد اطمأنّ قلبي أنّه لم يحضر ذلك المشهد أيّ من زملائي في القسم، لكن ما إن عدلت من حقيبتي على كتفي حتّى وجدتُ من يخرج من أحد الغرف حاملًا زجاجة كبيرة من الماء قائلًا بابتسامة اطمئنانٍ وخجلٍ معًا:

ــ" لا أعرف. أين يضع الزّملاء الأكواب؟!"

ثمّ ناولها لي قائلًا:

ـ" حمدا لله على السّلامة."

إنّه هو بلا شك فصوته المميّز، ومشيته الواثقة الثّابتة شيئان لا يُنسيا أبدًا. كانت ملامحه مصرية بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، لكنّني ما إن تأمّلته أكثر حتّى رأيت نفسي فيه، فقد كان يحمل الكثير من ملامحي حيث الأنف الشّامخ، والجبهة العريضة والبشرة التي لوّحتها الشّمس ،فقط كان شعره أكثر نعومة و طولًا من شعري، بينما عينيه أقرب للقطط.!!!

ظللت للحظات مشدوهة حتّى تنبّهت إلى يده الممدودة بكوب الماء، فتناولته منه شاكرةً له ما فعله من أجلي، ثمّ شربتُ قليلًا من الماء كأنّني أستمتع بشرب كوب من عصير الفراولة التي أعشقها، فبدا مرتبكًا و هو يُحوّل نظره في اتّجاه النّوافذ، وأخيرًا قال بعد محاولاتٍ بدا فشله فيها جليًا ليتكلّم:

ـ" يمكنكِ الانصراف إذا كنتِ متعبة."

حاولت الرّد عليه، فخرجت الكلمات من فمي كأنّها تُحدّث حنجرتي وحدها، فلم أسمعها قط بينما زيّن وجهه

ابتسامة عذبه أشعرتني أنّي بلهاء، فقلت و أنا أناوله الكوب:

_ "شكرًا لكَ.. أنا بخير، سأضع حقيبتي وأتّجه للمعمل."

لم يعلّق بشيءٍ بعد ردّي عليه.. فقط تركني وانسحب من المكان كأنٍ لم يكن له وجود منذ لحظات، بينما شعرت للمرّة الأولى بشيءٍ يتسرّب داخلي، لكنّي لم أعرف كنهه إلا بعد عدة أسابيع لاحقة.

بعد ذلك الموقف أصبحت موصومة بيني وبين نفسي "بالفاشلة".. الكلمة التي لم أحتمل تردّدها باستمرار بداخلي رغم أنّي لم أكن أعبأ حين كان يُلقيها الآخرون على مسامعي بكثرة قبل دخولي الجامعة. لذا وجدت نفسي مجبرة على خوض عملية إثبات أحقيّتي بتلك الوظيفة.

توافد الزّملاء تباعًا، بينما كنت أجلس في المعمل لأعمل على مجموعة من المواد التي لم أطّلع عليها من قبل خلال دراستي. كنت حريصة ألّا أسبّب كارثة بتجاربي، فالمعمل لا يحتاج لمزيد من التخريب، فهو نفسه كان على وشك الإحالة على المعاش المُتأخّر بعد استهلاك ثلاثة أجيال له دون إضافة الكثير إليه؛ فنفضت التفكير فيه من

رأسي؛ لأركّز علي العمل لكنّي لم أكن أتحرّك إلا و أرى عينيه ترمقاني. هل كنتُ أتخيّل الأمر؟! هل هي رغبتي في أن يفعل ذلك هي ما ترسم لي تلك الخيالات ؟! أسئلة كثيرة دون إجابة، فلم يكن لي زميلة بالمكان حتّى أسألها، فقد كنت الأنثى الوحيدة في المعمل وسط مجموعة لا بأس بها من حاملي الشّوارب كان هو أوسمها رغم أنّه لم يكن الأصغر سنًا، فقد كان معنا ثلاثة من الشباب الذين يكبروني بعامٍ أو عامين ،أمّا هو فسمعت أنّه يكبرني بأربع دفعات دراسية.

عدت لمكتبي حتّى ألحق آخر وقت في صلاة الظهر بعد أن سرقني العمل.. بحثت عن مصلية ففشلت، وأخيرًا لم يكن أمامي سوى وضع بعض الأوراق أمام رأسي لأسجد عليهم .. في تلك اللحظة فُتح الباب بينما أنا جالسة على الأرض أُنظّم الأوراق. فسمعته يقول:

_" أمازلتِ مرهقة؟!"

كان من الواضح اعتقاده أنّ الأوراق قد وقعت منّي؛ لذا طمأنته و استأذنته أن يغادر لأصلّي، فاعتذر عن دخوله دون استئذان.. مبرّرًا سلوكه أنّ الأبواب في المكان لا تُطرق نظرًا لأنّ جميع من في المعمل من الرّجال.

منذ ذلك اليوم عرف الجميع أنّ هناك أنثى يجب التعامل معها بطريقة مختلفة، فالأبواب المغلقة لم تعد تُفتح دون استئذان، والتعليقات السّاخرة التي كانتْ تُطلقُ في الهواء في غير وجود الرؤساء توارتْ وتحوّلتْ لهمسات، والوجوه المُكْفَهِرّة من العمل أصبحتْ تبتسم بمجرد رؤيتي، وتحوّلتُ خلال بضعة أيام إلى ملكة رغم توقّعي العكس.

" يبدو أنّ الجميع كان مشتاقًا لوجود جنسٍ ناعمٍ في المكان".

كان عليَّ أن أستغلّ الأمر في تخفيف أعباء العمل عنّي، لكن نظرة واحدة للحصان كانت تشعرني بالخجل من مجرّد التفكير في الأمر؛ لذا كنت كلّما شعرت بالرّغبة في التخلّص من أعبائي أتّجه إليه، و أطالبه بمزيد منها كأنّي أعاقب نفسي. و خلال بضعة أسابيع كنت أبحث عن شخصيّتي الهزلية وسط تلال الجد التي غُصت فيها حتّى النّخاع، لكنّي لم أجد لها أثرًا وكأنّ "سهام" التي عرفتها طوال حياتي لم تكن سوى قناع نزعته عني، لكنّي رغم ذلك لم أكن تعسةً قط، بل كنت أزداد حبًا للعمل كلّ يوم ربّما ليس من أجل العمل، ولكن لما كنت

أحظى به من نظرات إعجاب من "الحصان" كلّما أنجزت مهمةً جديدة.

و لأنّ دوام الحال من المحال كان لابدّ أن يحدث ما يعكّر صفو أيامي، فقد صدر قرار بإيقاف المصاعد عن العمل بعد السّاعة الثّالثة، وكانت مواعيد انصرافنا في المعمل تتجاوز في كثيرٍ من الأحيان الرّابعة و النّصف؛ لذا كان عليّ أن أواجه تلك المشكلة وحدي، فكنت أتأخّر عن زملائي حتّى أتأكّد من كوني آخر من يغادر المكان، فلا يراني أحد وأنا أنزل السّلالم ملتصقة بالحائط كالحشرات، أكاد ألمس كلّ سُلمة بينما العرق يتصبّب من وجهي حتّى كان اليوم الذي فُوجئت بصوتٍ لطالما خفت أن يأتيني من الخلف و أنا في تلك الحالة، لكن: " إللي يخاف من العفريت يطلع له" و كان سماعي لصوته من خلفي في تلك اللّحظة أسوأ من رؤيتي لأيّ عفريت!!!.

هل يمكنك أن تتخيّل المشهد، أم تحتاج أن أصفه لك بصورةٍ أكثر تفصيلًا؟! أعتقد أنّ التّفصيل لن يفيدك كثيرًا، فيكفي أن تتخيّل مخلوقًا من ذوات الأربع يترل السّلالم لتكون قد تخيّلتني.. لذا تمّنيت في تلك اللحظة أن أتحلل لذرات غير مرئية، أمّا هو فلم يكد يقل:

ـ" ماذا حدث؟! هل وقعت؟!"

إلّا و كانت يده تسندني لأقف معتدلة.. الأمر الذي أربكني بشدّة، فقد تشبّثت به خوفًا من الوقوع رغم خجلي منه.

من الصّعب عليّ أن أتخيّل أنّ ذلك الموقف الذي جعلني أتمنّى الموت للمرّة الأولى في حياتي يكون هو السّبب في نهاية مأساتي مع السّلالم، فلم أكد أشعر به قريبًا جدًا منّي إلّا و ابتعدتُ وبدأتُ في النّزول، بينما عيناي تنتقلان بسرعة بين ملامحه القلقة وبين السّلالم أسفل قدماي خوفًا من الوقوع الذي كان وشيكًا أكثر من مرّة، لكنّني نجحت في تجنّبه.

حاولت أن أثنيه عن متابعتي، لكنّه لازمني حتّى غادرت المبنى. كان إصراره سببًا في تماسكي أكثر، فنجحت للمرّة الأولى منذ شهورٍ طويلة في التغلّب على خوفي، ولستة أيّامٍ تالية تحوّل نزولي على السّلالم إلى أكثر الأوقات استمتاعًا في يومي، فقد كان يلازمني دومًا الأمر الذي كان يُدخل السّعادة إلى قلبي باستمرار. ألم أقل من قبل:" إنّ تلك الأزمة كان لها أكبر أثرٍ في حياتي؟!"

.~.~.~.

(٣٧)

في كثير من الأحيان أشعرُ أنّي أبالغُ في مشاعري تجاه المواقف، فكلّ موقف أمرّ به يكاد يمثّل لي أكثر المواقف تأثيرًا؛ ليأتي باستمرار موقف جديد وحدث جديد، ليثبت أنّ الجديد هو الأكثر دائمًا، فتستمر تلك الدّائرة من الاعتقاد دون توقّف.

بعد شهر من واقعة السّلالم أصبح "الحصان" جزءًا من حياتي، بل أصبح هو حياتي وروتيني اليومي. كانت الحواجز بيننا قد رُفعتْ .. نتبادل الأحاديث دون توقّف طوال الطّريق بعد مغادرتنا العمل معًا كلّ يوم، فعلم عنّي كلّ شيء، أمّا هو فعلى الرّغم من أنه كان يستشيرني في كلّ كبيرة، وصغيرة تخصّه إلا أنّي لم أسمع عن أسرته سوى القليل، لكنّي لم أستسلم قط وكلّما حاولت كان يزداد ضغطًا علينا في العمل، فيتذمّر الزّملاء و تبدأ الأحاديث عنه فلا تنقطع إلا بدخوله المعمل.

كانت الأحاديث كلها منصبة على نبوغه العلمي و اجتهاده و إخلاصه، فكان يُوْصَف بأنّه يتنفّس العمل، لكن ما أربكني جملة قالها أحد الزّملاء، وهو يختلس النّظر لي:

ـ" لم يكن دكتور "آية" بتلك العصبية من قبل. أتعتقدوا أنّ في الأمر سرًّا؟!"

"سر؟ هل علاقتنا سرّ يجب إخفاؤها؟ و هل لنا علاقة غير الزّمالة؟!" سؤالان أجهداني بشدّة، فكنت أوّل من غادر المعمل، بل و العمل دون أن أسلّمه التّقرير الذي كان قد طلبه منّي بالأمس.

عدت لمترلي أفكّر في سرّي الذي لم أُطلع أحدًا عليه، وما إن دخلت حتّى استقبلتني والدتي بنظراتٍ لها مغزى، لكنّي لم أكن في حالة تسمح لي بالتعليق، فدخلت غرفتي و هي تلحق بي وعلى وجهها ابتسامة عريضة، وقالت دون مقدّمات:

ـ" جاءكِ عريس. طبيب جراح، هو ابن أخو زوج خالتك."

كلّ فتاة إذا قيل لها:" إنّ هناك عريسًا يريدها ترتسم ابتسامة عريضة ساذجة على ملامحها، وكأنّها ستحكم العالم لكنّي حين سمعت الخبر شعرت بكآبة لم أشعر بها من قبل، وطلبت من والدتي تركي لأرتاح نظرًا لإرهاقي الشديد، فاستسلمت لإرادتي كعادتها.

بعد ساعة كان هاتفي لا يتوقّف عن الرّنين، بينما أنا محدّقة في رقمه الذي كان ينير الشاشة. لم أجد بنفسي القدرة في الرّد عليه؛ لذا أغلقتُ الهاتف لكن باب القلق بداخلي كان قد فُتح على مصراعيه لذا أصابني الأرق تلك اللّيلة، فلم أنم إلا بعد صلاتي للفجر، لذا كان ذهابي للعمل في اليوم التّالي مستحيلًا بعد أن استيقظتُ في الرّابعة عصرًا، ورغم ذلك لم أفتح هاتفي المحمول إلا في صباح اليوم الذي تلاه، أمّا والدتي فمارست كلّ طرق الإلحاح عليّ لمقابلة العريس، لكنّي نجحت في مماطلتها كعادتي.

.~.~.~.

(٣٨)

لم أكن متحمّسة للعمل في اليوم الذي تلا إجازتي رغم استيقاظي المبكّر. ارتديت ملابسي وسيناريوهات عقابه لي على إهمإلي في العمل تدور برأسي. كان أسوأها على الإطلاق هو أن يصرخ فيّ أمام الجميع، لكن الغريب أنّه لم ينطق بأيّ كلمة طوال اليوم، بل و تعامل معي كأنّ لم يحدث شيئًا، فلم أجد القدرة في نفسي لسؤاله حتّى لا أفتح بابًا من المواجهة أحاول تجنّبه، لكنّي رغم ذلك لم أستطع السّكوت حول علاقتنا، فما إن أصبحنا في الطّريق بعيدين عن العمل حتّى أخذت ألقي عليه بالأسئلة ثمّ الاتهامات، فلم ينفعل لصراخي في وجهه الأمر الذي أرعبني حتّى قال:

ـ" هل انتهيتِ من كلامكِ؟"

كنت أودّ أن أصرخ ب"لا"، لكنّي لم أجد ما أقوله رغم كمّ الانفعالات التي كانت بداخلي، فصرخت ب"نعم"، فقال بهدوء و هو يضع يده في جيب بنطلونه، و يواجهني:

ـ" أريد أن اتحدث مع والدك في أمرٍ هام، فهل يمكنكِ أن تعطيني رقم هاتفه؟"

لم أكن ممن ينفعلون حقيقةً اتجاه أمرٍ ما، لكن في ذلك اليوم كانت انفعالاتي الغاضبة والسّعيدة أقوى من أن أخفيها؛ لذا ظهرت سعادتي جلية مع طلبه كما ظهر غضبي قبلها بلحظاتٍ منه، فسرحت برهة بينما أعاد عليّ السّؤال فناولته الرّقم و سرت بجانبه أتحدّث في أمورٍ كثيرة، بينما كان يستمع لي في صمتٍ مكتفيًا بابتسامة ثابتة لم تتغيّر طوال الطريق، حيث قام للمرة الأولى بتوصيلي بالقرب من منزلي، ثمّ قال قبل أن يتركني:

_" لا داعي لإخبار والدكِ أنّي سأتّصل به."

_" حسنًا."

قلتها، وقد راودني القلق من طلبه لكن سرعان ما طردته من عقلي، فالأهمّ هو اتّصاله بوالدي الذي كنت أنتظره بشغف، لكني لم أجرؤ على سؤاله عنه وفي اليوم التّالي أخبرته بسبب تغيبي، وبتلك التلميحات التي ألقاها على مسامعي بعض الزّملاء، فتوقّف عن توصيلي منذ ذلك اليوم طالبًا منّي توخّي الحذر، والخوف على سمعتي.

كانت كلماته بلسمًا على روحي فلم أستطع سوى التصريح بمشاعري له وانتظاري لمكالمته لوالدي، فطالبني أن أنتظر حتّى أعرف من والدي نتيجة المكالمة.. لذا شعرت أنّ هناك سرًّا خطيرًا سيكشفه، فألححت عليه ليخبرني لكنّه تمسّك بالرّفض، فالتزمت الصّمت.

.~.~.~

(٣٩)

ساذج من يحاول تخيّل الأحداث التّالية، و التي أثبتت لي أنّ الواقع أغرب من الخيال في كثيرٍ من الأحيان. بالطّبع كانت أيام الانتظار شاقّة على نفسي، بل والأشقّ هو ذلك البعد الذي رافقنا تلك الفترة للحفاظ على سمعتي، وأشقّ الأشق هو محاولاتي المستميتة لتجنّب أمر العريس لكن الأسوأ على الإطلاق جاء حين استدعاني لمكتبه في نهاية الأسبوع، وطلب مني الجلوس بينما أمسك بهاتفه المحمول، وقال:

ــ" السّلام عليكم.. أنا دكتور آيه منصور رئيس أنسة "سهام" ابنة حضرتك بالمركز.. لا خير إن شاء الله. أتمنّى أن أحظى بزيارتكم في المترل .."

بمجرد أن فهمت أنّ هذا الاتّصال لوالدي شعرت بضربات قلبي قويّة وسريعة، حتّى خُيّل لي أنّي أسمعها في أذني.. و مع طلب الزّيارة حبست أنفاسي من التوتّر، لكن جملته التّالية جعلتني كتمثالٍ شمعي يذوب بسرعة أسرع من الضوء:

ــ" أريد أن أطلب منك يد سما."

مصدومة .. مذهولة.. ضع ما تشاء من المسمّيات والتعريفات، فالأهمّ هو الشّعور الذي باغتك الآن، و الذي باغتني أضعافًا أضعافه أنا المفعول بها.

وقفتُ وكأنّ الدنيا قد وقفت كلّها ضدّي في تلك اللّحظة.. كلّ ما استطعته هو مغادرة العمل دون وجهة محدّدة، فقد تركت لقدمي اختيار الشوارع لكنّني كنت ملزمة بالعودة إلى منزلي في النهاية، ومواجهة الجميع تلك المواجهة التي مازلت غير مصدقة أنّي قد اجتزتها.

.~.~.~.

(٤٠)

" لكلّ فعل ردّ فعل مساوٍ له في المقدار، ومضادّ له في الاتجاه" تلك النّظرية قمت بتطبيقها بمجرد دخولي من باب الشّقة. رسمت ابتسامة على وجهي، ومارست مداعباتي المعتادة مع كل من أقابله في طريقي من أهل البيت حتّى دخلت غرفتي، وأغلقت الباب عليّ. غيّرت ملابسي و جلست علي سريري في مواجهة المرآة، وأنا أتطلّع لملامح وجهي عبرها.

كان أكثر ما يغيظني أنّي استطعت تمثيل الدّور بإتقان، وكأنّ مشاعري أُصيبت بالتحجّر والبلاهة، فطردت تلك الأفكار من رأسي، وأخذت أتمعّن في خطوتي التّالية. هل أجرؤ على التّصريح بمشاعري لهم كما صرّحتُ بها له من قبل؛ ليصدمني ردّ فعلهم كما صدمني هو؟!! هل أخبرهم أنّه يعلم ما بداخلي؟ كيف أتصرّف؟ أسئلة لم أجد لها إجابة، فتركت الأحداث تجيب بالنّيابة عنّي.

كان التفافنا حول مائدة السّفرة غير طبيعي في ذلك اليوم، فمنذ عملنا أنا و"سما" أصبحت تلك المائدة لا تجمع أسرتنا إلا في الأجازات فقط. تناولنا الطّعام في صمتٍ يُنْذر بقدوم عاصفة خاصّة مع نظرات والديّ

المتكرّرة لي، و لم يجرؤ أحد على فتح الموضوع وكأنّهم يخشوني؛ لذا وجدت لساني يقول:

ــ" هل أخبرتما سما بالعريس؟"

بدت ملامحها مصدومة، وهي تسألهما:

ــ "عن أيّ عريس تتحدّث سهام؟!"

و كأنّهما قررا أن يتنازلا عن حقّهما في الكلام لي بصورة نهائية، فقلت:

ــ "إن دكتور "آيه منصور" رئيسي في العمل طلب أن يزور والدي ليطلب يدكِ. "

ــ" آيه ؟ و هل هناك شخص يدعى آيه؟!!"

ــ "نعم."

ــ" و لماذا لم يطلب يدكِ؟!"

خرج سؤالها من فمها بعفوية طعنتني، لكنّي أخفيت مشاعري وقلت ضاحكة:

ــ "و هل يتزوّج أحد من صديقه؟! أمّا أنت، فلا أتوقّف عن الحديث عنكِ طوال الوقت، و من يعرفكِ لابد أن يحبّكِ."

بدا عليها التفكير لبعض الوقت قبل أن تقول:

ـ" هل حددتما موعدًا؟!"

هنا قال والدي:

ـ "لا."

فقلت بهدوء لم أعهده في نفسي:

ـ" حسنا فلتخبرني بالميعاد المناسب لأخبره به. على ألّا يتعارض الميعاد مع ميعاد عريسي. "

هنا أطلق والديّ زفرة ارتياح، أمّا أنا فلا أعرف كيف نطق لساني بتلك الجملة، ورغم صدمتي شعرت كأنّي استرددت كرامتي.

.~.~.~

(٤١)

لم يكن في مقدوري أن أخبر أحدًا بكلّ تلك الأحداث، حتّى صديقتي المخطوبة فقد كانت حياتها تستولي على اتصالاتنا ومقابلاتنا دون أن تترك مجالاً لأي كلامٍ آخر، أما صديقة الطفولة فمنذ سافرت مع زوجها لم أسمع عنها أي خبر؛ لذا كان عليّ أن أتعامل مع كلّ شيءٍ بفطرتي، بل و أقوم بدور الصّديقة، والأم، والأخت؛ لأواسي نفسي لذا كان هذا اليوم بداية مشوار طويل مع الوحدة.!!

أعددت نفسي بصورة جيدة لليوم التّالي، فطبعت مظهري في ذلك اليوم بمسحة أنثوية لاحظها الجميع، فأثنوا عليها بشدّة كنت ألاحظها تثير الحنق في عينيه التي تجاهلتها حتّى كان وقت الصّلاة حيث انصرفوا للوضوء. توجّهت إلى مكتبه، فوجدته يخلع ساعته استعدادًا للانضمام إليهم، فألقيت عليه تحيّة سريعة، ثمّ أعلنته بميعاد زيارته وخرجت قبل أن يجد الفرصة للرّد، وفي نهاية اليوم كنت أحمل معي حقيبتي و سخافة يومٍ كامل من التمثيل وأنا أغادر.

.~.~.~.

(٤٢)

"الطريق طويل و ممل" لطالما تردّدت تلك الجملة على عقلي كلّما غادرت العمل بدون "الحصان"، غير أنّه لم يعد لها محل من الإعراب في ذلك اليوم، فالطّريق المملّ أصبح ملاذ دموعي التي تحرّرت دون اهتمامٍ بعيون النّاس الفضولية، والتي كان لها فيما مضى الأولوية في تجنّبها على عكس ذلك اليوم.

حين عدت إلى منزلي استقبلتني والدتي بخبر زيارة العريس في المساء، فبدت الدنيا كأنّها تتعمّد محاصرتي فلم أجد ما أعاندها به سوى الاستسلام بإيماءةٍ صغيرةٍ من رأسي قائلة:

ـ "سآكل و أنام، وحين أستيقظ سأستعد."

تناولت ربع ما وضع أمامي من طعام، واندسست في سريري أتشاجر مع نفسي علّني أنهار و أستسلم للنّوم، لكن يبدو أنّ رأسي كانت مُصَفَّحَةً ضد الانهيار رغم كلّ ما كنت أمرّ به من ضغوط، فغادرت السّرير و أعددت نفسي بصورةٍ لم أكن أتوقّعها.

كانت ملابسي و زينتي مبهرة بطريقة أزعجتني، وأرضت الجميع بما فيهم العريس و أهله، بينما لم أحظَ

بذلك الشّعور اتجاهه على الرّغم من أنّ كلّ شيءٍ فيه مميّز، ولا يترك فرصة لرفضه لكنّه "الحصان" الذي يحاصرني دائمًا، ورغم ذلك وافقت فبدا الجميع سعيدا ما عداي أنا العروسة.!!!

في اليوم التّالي استيقظت منتعشة بعد استردادي جزءًا من كبريائي بهذا العريس الممتاز، لكن ما إن دخلت المعمل و تواجهت مع "الحصان" حتّى انقلب كلّ شيء بداخلي للسّواد لكنّني لم أعط أحدًا الفرصة لملاحظة الأمر، وحاولت قدر استطاعتي التعلّق بقشّة ملامحي الهادئة خاصة أنّ زيارته كان ميعادها هذا المساء، والتي مرّت كما توقعتها حيث أعجب به الجميع رغم تحفّظهم الظّاهر على شعره الطّويل، لكنّه لم يغادر حتى حصل على ميعاد لزيارة والديه فتمنّيت لو أستطيع تمزيق توقّعاتي الصّائبة علّها لا تتكرّر معه مرّة أخرى.

كان عليَّ أن أوقف تلك المهزلة بالحديث معه، لكنّه بدا راضيًا عن الأمر، فآمنت أنّ كلّ ما ربط بيننا في يوم ما كان من نسج خيالي، فلم يكن من الممكن أن أصدّق أنّه يعاقبني على ثورتي عليه في الشّارع بتلك الطريقة، لذا حافظت على ما بقى لي من كرامة، وتجاهلت مثله كلّ شيء إلا عريسي الذي زارنا مرّتين أحدهما يوم شراء

الشّبكة، و لم ينقصنا سوى تحديد يوم الخطوبة، لكنّ الأمر تأجّل حتّى تتم مقابلة أسرة "الحصان"، وتحديد يومٍ واحد لخطوبة رباعية.

بعد يومين من شراء شبكتي كانت زيارة أسرة "الحصان" لنا، ورغم تجاهلي له طوال تلك الفترة إلا أنّ الفضول كاد يقتلني هذا اليوم. وعلى غير ما توقّعت جاءت تلك الزيارة، فقد كانا والداه متواضعين في كلّ شيء، جسديهما، ملابسهما، و فكرهما، فكان انتقال عينيّ بينه و بينهما يعكس حجم الفجوة بين عالمهما، وكأنّ هذا الشخص لم يولد من صلب هذين الشّخصين قط، غير أنّي طردت تلك المشاعر واحتفظت بما بقي منها داخلي ككلّ الأشياء التي قبلها، خاصّة أنّ هذا الأمر زاد من إعجاب والدي به كشخصٍ مكافح.

مرّت الزّيارة سريعًا، واستأذنوا بعد قراءة "الفاتحة" مباشرة كأنّ وراءهم ميعادًا أهم.. لكنّهم كانوا قد اتفقوا على كلّ شيء دون أن يتفق أحد معي على كيفية الخروج من تلك الورطة التي أوقعني بها من أحببته بصدق.!!

.~.~.~.

(٤٣)

السيئ والأسوأ كلمتان لطالما رددتهما على مسامعي كثيرا منذ التقيت "بالحصان"،وكأنّه أدخلهما حياتي عن عمد، لكنّني منذ يوم خطوبتنا الرباعية لم يعد هناك مجال لكلمة السيئ بعد أن احتلت كلمة الأسوأ كلّ المواقف!!.

كنت أعيش الجحيم بصورةٍ يومية في العمل، حيث يجمعنا المعمل وحدنا في الصّباح الباكر و في نهاية اليوم وعند تقديمي التقارير الهامّة له، وفي المترل حين يجلس وحده مع أختي يتبادلان الأحاديث الهامسة التي لم تكن تطلعني عليها قط الأمر الذي كان يحرقني.. بينما أجلس أنا في غرفتي أنظر لخاتم الخطوبة في يدي الذي كان من المفترض أن يكون خاتمه.

حاولت كثيرا الانغماس في العمل أكثر، لكن وجوده كان يزيد من تشتّتي، أمّا توجيه مشاعري اتّجاه خطيبي باءت بالفشل نظرا لزياراته القليلة المنفردة و لطبيعته الانطوائية، أمّا أحلامي فحدّث ولا حرج. كان يطاردني "الحصان" فيها باستمرار.. يبدو أنّ عقلي الباطن يعمل باجتهاد.....خلاصة القول:" لقد أصبح آية منصور (عفريت العلبة) بالنّسبة لي."

.~.~.~

(٤٤)

كانت خطوبتنا وخروجنا وأحاديثنا رباعية باستمرار، ولم يكن من الممكن على أحد تحمّل ذلك الوضع لمدة يوم واحد، لكنّي تحملته تسعة أشهر كالحبلى سفاحًا؛ لذا كان لابد أن تأتي لحظة المخاض التي تنهي هذا الحمل للأبد.!!

بدأت لحظة المخاض مع دخولي المعمل متأخّرة في ذلك اليوم عن مواعيد العمل الرّسمية ساعة، وكانت تلك الواقعة الأولى لي في التأخّر. انطلقت التساؤلات من كلّ دكتور في المعمل عن السّبب الذي لم يكن سوي لسهري طوال الليل أفكّر في هذا الوضع المذلّ، فتأخّرت في الاستيقاظ لكنّي ألفت قصة عن حادثة في الطريق صدّقها الجميع إلا هو، فقد كانت عيناه تصرخ في وجهي:

_" كاذبة."

استدعاني إلى مكتبة بحجّة تسليمي بعض الأوراق، وما إن دخلت حتّى أغلق الباب خلفي وجذبني من معصمي لأجلس على المقعد المواجه لمكتبه،بينما وقف هو أمامي بملامح غاضبة لم أرها عليه من قبل، ثمّ قال:

_" متى ستتوقّف تلك المهزلة؟!"

ارتديت ثوب البرود رغم خوفي الشديد منه في تلك اللّحظة، وأنا أرد عليه واضعة قدمًا فوق الأخرى:

ـ" عن أي مهزلة تتحدّث؟!"

ثمّ أكملت بغضب:

ـ"وكيف تمسكني بتلك الطريقة؟!"

كنت أرى الغضب في عينيه كجمرة نار، وهو يقول:

ـ" تتصنّعين الجهل، لكنّي لن أستسلم لكِ أبدًا."

وقفت غاضبة، وقلت بصوتٍ حاولت ألّا يعلو:

ـ" إنك مجنون."

فارتفعت يده كأنّها على وشك صفعي، لكنّها تجمّدت في الهواء بمجرّد أن جحظت عيناي، وارتمى على المقعد خلفه، وقال بانكسار:

ـ" آسف. لقد أعمتني الغيرة."

ـ" غيرة؟! عن أية غيرة تتحدّث، وأنت من وضعنا في هذا الموقف. أنت لا تعرف معنى الغيرة و لم تجرّبها."

فرفع رأسه ببطء قائلا:

ـ" منذ اليوم الأول لكِ هنا، وأنا أحترق كلّما كلّمكِ أحد، أو كلمتي أحدًا، فكنت أحاول دائمًا أن أتدرّب على تحمّل هذا الأمر خاصّة أنّكِ رفضتِ خلال حوارٍ لنا ترك العمل في حالة زواجك، ورغم مشقّة الأمر عليّ إلّا أنّي كدت انجح في تقبّل الوضع لولا صراخك في وجهي في ذلك اليوم، حين كنّا نسير في الشّارع.

ثمّ صمت قليلا قبل أن يكمل:

ـ" كان من المستحيل أن أتقبّل فكرة صراخك فيّ أمام الآخرين، ولم يكن قد صرخ فيّ رجل من قبل، فكيف تصرخ فيّ الأنثى التي أحببتها؟! "

ثمّ توقّف عن الكلام ناظرًا إليّ، لكنّني لم أجد ما أجيبه به، فقد ألجمني اعترافه، بينما قال وهو يقف:

ـ" كنت أُجَن كلّما رأيت نظرات خطيبك لك، أو محاولاته المستميتة للإمساك بيدك، وكلّما زادت محاولاته زدت في محاولة تجاهلك بالحديث مع أختك، لكنّها كانت تذكّرني دائمًا بك ليزيد عذابي. لقد كانت خطوبتي لها هو أبشع قرار اتّخذته في حياتي."

جلست مرّةً أخرى، وأنا أشعر بدوّار وصداعٍ برأسي، ثمّ قلت:

ـ" و الحل؟! أنا لن أسمح أن تتعرّض أختي للمهانة بسبب قرارك المتهوّر."

ـ" سأجد الحل، فقط أتمنّى أن أسمعها منك."

فرددت بسرعة في تحدٍ:

ـ "لن أنطق بتلك الكلمة مرّةً أخرى، حتّى نتزوّج."

ـ "لم أكن أطالبك بنطقه ،بل أطالبك ألّا تعودي لتهوّرك بالصّراخ في وجهي أمام الأغراب.!"

صُدمْتُ من طلبه، لكنّي رغم ذلك لم أعاتبه على عقابه المتهوّر لي .. فقط قلت بقلبٍ مضطرب:

ـ" أعدك."

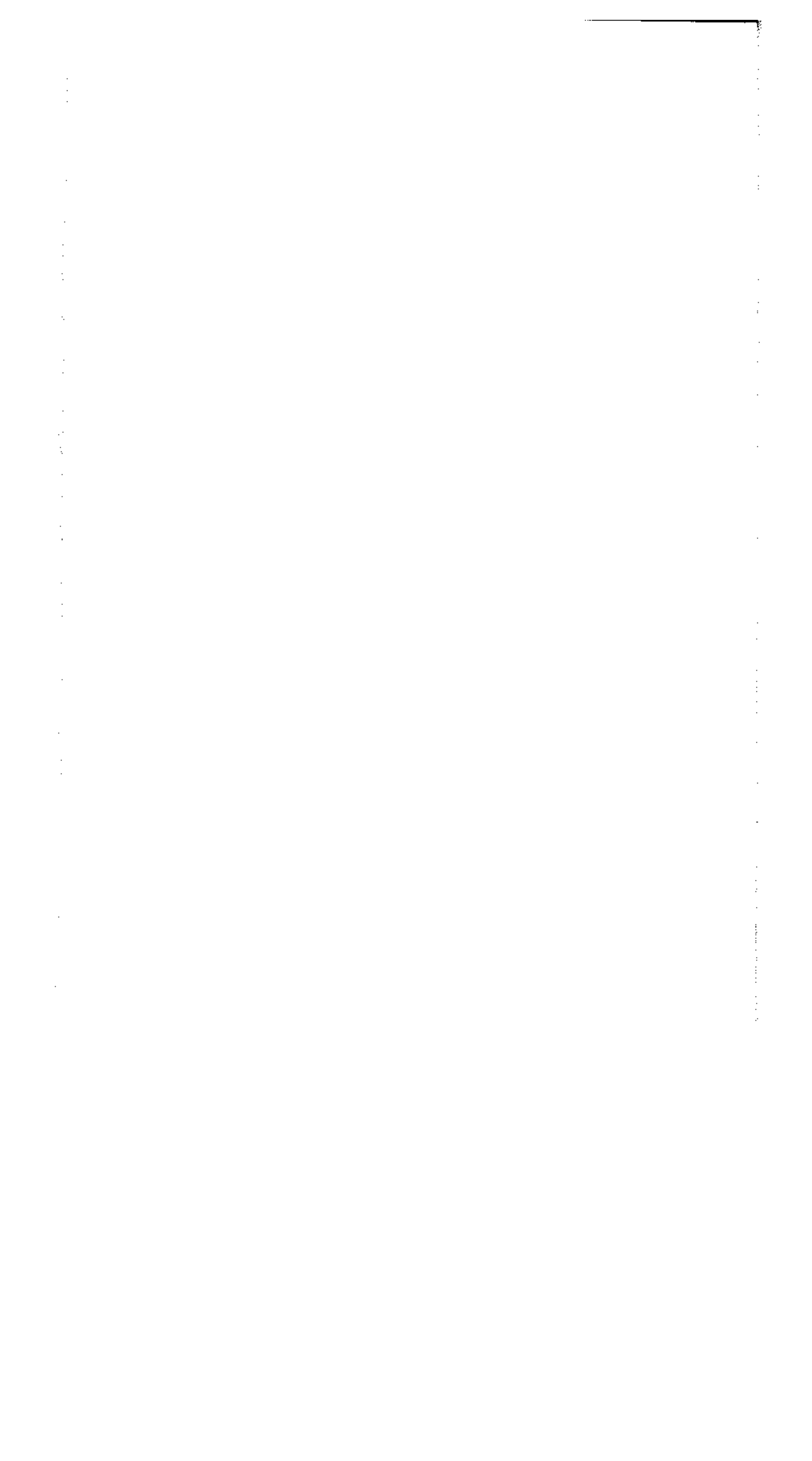
.~.~.~

(٤٥)

لو نَقَّبَ أحدٌ في تاريخي لتيقّن أنّي متخصّصة مقالب بتقدير "امتياز مع مرتبة الشرف"، بل وحاصلة على نوط الواجب من الدّرجة الأولى في هذا المجال، أمّا الخيانة فقد ظلّت لي سنوات طويلة مادة عقيمة لم أتعرّف على تراكيبها الكيميائية و الفيزيائية، والإحيائية حتّى كان اعترافه.

شهر بالتمام هو عمر خيانتي لأختي و خطيبي.. الخروج الفردي و المكالمات الطّويلة والكلام المعسول، و رغم ذلك لم يكن ضميري معطّلًا نهائيًا، بل عمل بنصف طاقته فتجده تارة يكاد يودي بي إلى التهلكة بعتاب متواصل وتأنيب بلا حدود، و تارةً أخرى يكاد يكونَ ميّتًا إكلينيكيًا، فكنت أسير في طريقي مع "الحصان" كالممسوسة!!.

.~.~.~.



الفصل الخامس



(٤٦)

كان أفضل ما حدث لي منذ فترة طويلة هو اصطحابي لطفلي معي للمترل، فتأثيرهما على معنويّاتي دائمًا عظيم. جلسنا جميعًا في غرفتي نتسامر، وحوّلت والدتي الليلة من قلقٍ و ذعرٍ، وجو مرض إلى احتفال بهما، أمّا والدي الذي كان معارضًا لبقائهما معي، فلم أرَ الفرحة في عينيه كما رأيتها تلك الليلة.

بدا الإرهاق واضحًا على الولدين بعد يومهما الشّاق، فأطفأت النور ليناما، وخرجت مع والديّ نتحدّث قليلًا في موضوعات بعيدة عمّا حدث، ثمّ تركهما و عدت لغرفتي. صلّيت ركعتين شكرًا "لله"، ثمّ اندسست في السّرير بينهما لأضمّهما إلى صدري بعد أن حُرمتْ منهما الأشهر السّابقة، ولأوّل مرةَ منذ عدة سنوات أشعر بالّراحة، بل و لأول مرةَ منذ تزوجت أضع رأسي على الوسادة، فأنام في الحال دون منوّم!!!!.

.~.~.~

(٤٧)

كان اتصالها بي لتطلعني على ما مرّت به من أحداث منذ زيارتي الأخيرة لها مفاجأة تنضم لسلسلة المفاجآت التي حدثت منذ قابلتها. ظللنا نتحدّث حتّى سمعت ابنها ينادي عليها أكثر من مرّة، فأنهيت المكالمة معها لأجد الهاتف يعلن استمرار حديثنا لمدّة ساعة تقريبًا دون أن أشعر بالوقت.

غادرت مكتبي بسرعة لأتفقّد مرضاي، بعد أن تأخّرت ساعة عن بداية جولتي التفقدية المعتادة كلّ يوم، فاستدعيت كبيرة الممرّضات لتصحبني في جولتي؛ لأصطدم بخبر مغادرتها بعد أن أذنت لها منذ ربع ساعة حين كنت أتحّدث مع "همس"!!.

لو قيل لي من قبل إنّي سأقضي على الهاتف ساعات أكثر مما أقضيها مع مرضاي، لقلت عن المتحدث إنّه "مجنون"، لكن كلّ شيء يصيبه التغيير حتّى عاداتنا.

~.~.~.

(٤٨)

ماذا حدث لنتحوّل معًا مائة وثمانين درجة؟! و أيّ طريق نسير فيه؟! باقي عدة أيام قبل أن تنتهي عدّتي، فكيف أفعل ذلك، وقد يفاجئني "عادل" بردّي إلى عصمته؟! بل وكيف أنسى "عادل"، ولا يشغل عقلي إلا خوفي من عودتي إليه، بعد أن كنت أتمنّى تلك العودة؟! ما الذي يحدث بداخلي ليغيّرني بتلك الطريقة المجنونة؟! و كيف نضحي بين ليلةٍ وضحاها محترفي كلام في الهاتف.

لقد سألني ابني الكبير عن الشّخص الذي أحدّثه باستمرار، فلم يطاوعني لساني وعقلي على تصنيفه كطبيبي.

ـ "إنّه طبيب زميل يستشيرني في حالاتٍ مرضية عنده في المستشفى."

كانت نظرات ابني تكاد تنطق:

ـ" أتكذبين أمّي؟!"

فأنظر لأيّ شيءٍ حولي لأتجنّبها، لكنّي في النّهاية لم أستطع تجاهلها حين سمعت هاتفي المحمول يدقّ باسم "إسلام"... طبيبي.

.~.~.~.

لم أستطع أن أتخلّى عن التفكير فيها، فكلّما أغلقت الخطّ يظلّ طيفها ملازمًا لي، حتّي يغلبني النّوم.. غير أنّ جملة "شهد" التي أخبرتني بها "همس" يوم مغادرتها المستشفى لاحقتني باستمرار.

"ــ و شهد رأت أن خير علاج لك أن تعالج مريضة لها نفس مرضك."

أمرٌ موجعٌ أن أكتشف أنّ نظرة "شهد" لي بعد كلّ تلك السّنين ــ على الرغم من اكتشافي مؤخّرًا بواقعية نظرتها ــ أنّي مجرّد طبيب مريض يحتاج لعلاج مثله مثل مرضاه. نعم .. أنا الطّبيب النّفسي المريض! .. ربّما لا أحمل فيرس "الإيدز" في جسدي، ولا يداعبني الجنون في عقلي، لكنّي رغم ذلك كنت أسوأ من يحترف الصّمت كمرض لا يقتلني وحدي، ولكن يقتل علاقتي بكلّ من أحببت.

لم تكن "شهد" بالمرأة العادية مثل "همس"، فشعرت أمامها بالفقر ليس المادّي لكن الأسوأ الشّخصي.. كنت أشعر بذاتي ضعيفة أمامها، فيزداد

سخطي تجاهها رغم حبّي لها، لكنّي لم أفعل أكثر من التوغّل في شعوري السّلبي بالتخلّي عنها بدلًا من معاندته.

حقًا لم يكن اختياري لعملي كطبيب نفسي محض صدفة، بل هو أفضل اختيار لعاشق الهروب، فها أنا أتوارى خلف مشاكل النّاس .. أغوص فيها حتى الثّمالة متناسيًا أنّ مشاكلي هي الأَوْلَى بالحلّ من الآخرين.. لكنّ المثل لم يكذب حين قال: " باب النجّار مخلّع". وقد كان بابي مخلوعًا و مكسورًا و...إلخ. فكان عليَّ تلك المرّة أن أواجه مشكلتي مع "همس" .. صحيح أنّها مختلفة عن مشكلتي مع "شهد"، لكنّها حملت نفس الطابع.. لذا اتّصلت بها.

.~.~.~.

(٥٠)

كنت أفكر فيه حين رنّ هاتفي باسمه، فرددت عليه بعد برهة تردّد، وأنا عازمة على إنهاء هذا الموقف غير المشرّف الذي أشعر أنّي أعيشه .. لكنّه فاجأني بطلبه أن أعمل معه في مشفاه. زادني طلبه اضطرابًا، فطلبت منه مهلة للتّفكير، وقررت أن أطلع ابني الكبير على تلك الوظيفة في محاولة منّي لتعزيز براءتي أمامه ضدّ أيّ تفكير مشين يمكن أن يخالج الصّغير تجاهي!!.

أنهيت معه المكالمة التي كانت أشبه بالومضة على عكس ما تعوّدت منه. أخذت نفسي كأنّي مقبلة على مسألة شاقّة، ثمّ استدعيت صغيري.

ـ" أريد أن أتحدّث معكِ في موضوعٍ هام."

ـ "لست موافقًا."

ـ "ماذا؟!"

ـ" أرفض أن تعودي لأبي، أو تتزوّجي هذا الشخص الغريب الذي تحدثينه ليل نهار."

وقفت مشدوهة أمامه، ثمّ قلت بعد برهة:

ـ" لم أكن أستدعيك لهذا السّبب."

بدت على ملامحه الخجل من ردّ فعله المتسرّع، فقلت لأخفّف عنه الأمر:

ـ "فلنجلس لنتحدّث."

جلس قبالتي وقد احمرّ وجهه، فقلت:

ـ" أولًا مسالة عودتي لوالدك ليس لها مجال الآن من الحديث، أمّا بخصوص هذا الشّخص الذي تتحدّث عنه، فقد أخبرتك من قبل أنّه طبيب يستشيرني في مجال العمل، وقد طلب منّي العمل في المستشفى الذي يملكها. ما رأيك؟ هل أبدأ العمل الآن لأعوض ما فاتني، أم أنتظر حتّى ينتهي عامكما الدّراسي هذا؟!"

بدا التفكير جليًا على ملامحه، وشعرت أنّي أنظر إلى نفسي حين يأخذني التفكير في موضوع ما، فابتسمت ثم قلت حين وجدته يعاني صعوبّة في اتّخاذ قرار:

ـ" إذًا فلنؤجّل العمل حتى ينتهي هذا العام الدراسي على خير، وغدًا سأتحدث مع والدكما حتّى أنظم كل شيء قبل بداية النّصف الثّاني من العام الدّراسي."

ثمّ ضممته إلى صدري بقوّة قائلة:

ـ "أنتم أهمّ من كلّ شيء، حتى و لو كان استقراري النّفسي."

وعلى الرغم من موقفي اتجاه عملي بالمستشفى شعرت أنّي تسرّعت في قراري.

~.~.~.

(٥١)

لم يكن عرضي لها بالعمل معي في المستشفى هو ما كنت أقصده بالمواجهة، لكن يبدو أنّني ألتفّ حول المشكلة كعادتي. تُرَى هل فهمت هي كلّ ذلك؟! و هل اتّخذتُ قرارًا لن أقدر عليه؟! إن رفضها المؤقّت للعمل معي دليل على حيرتها التي لا تختلف عنّي.

بعد خمسة أيام من مكالمتي لها بدأ العام الدّراسي الجديد لأبنائها، فتوقّعت اتصالها بطليقها لتنظيم شئونها لذا حاولت قدر استطاعتي أن أتجنّب مهاتفتها؛ لتتّسع مساحة الالتقاء معه كي تدفعها إلى تصحيح مسار حياتهما معًا، فأنا لا أمثل لها أكثر من طبيب مستغل لحالتها النّفسية!!.

ربما يكون هروبي من مواجهة مشاكلي بالصّمت هو مرضي القاتل، لكنّي كنت ملزمًا في حالتنا تلك بابتلاع حبوبه بانتظام؛ لذا أخذتُ جرعةً من الصّمت لم آخذ مثلها من قبل.

.~.~.~.

(٥٢)

قرار حاسم و سريع ما اتّخذته مع ابني تجاه "إسلام".. شرعتُ بكل عزيمتي في تنفيذه على الرّغم من حماسي الميت. اندمجت مع الطّفلين كما لم أفعل من قبل، وقمت بتغيير شريحتي حتّى لا أتلقّى اتصالات منه تضعفني، لكن أحاديثنا الطويلة ظلّت كظلّي طوال الوقت.

توقعتُ أن يخترق دفاعاتي الهشّة بزيارتي بحجّة العمل، لكن ما حدث هو العكس فداخلني شعور أنّه قد ارتاح لقراري بشدّة، و كأنّ دافعه لطلبه العمل بمستشفاه هو رسم علاقتنا في منحىً آخر أساسه العمل فقط.

وودت كثيرًا لو حادثته وأطلعته على مشاعري تلك، فكرهت ضعفي بتلك الصّورة و تحمّلت أعباءً جديدة في المنزل؛ لأملأ الحيّز الذي كان قد أخذه من حياتي لكن لا شيء عوضني افتقاده.

هاتفت طليقي في الوقت الذي وددت أن يكون مهاتفتي له. تحدّثنا عن دراسة أولادنا، وعن زياراته ووالدته لهما، و أنهيت حوارنا سريعًا لأعود لذكرياتي مع "إسلام".

طاردتني باستمرار شجاراتنا الطفولية حول أي موضوع، فوجدتني قد قسوت عليه كثيرًا.. فكلّما كانت تزيد رغبتي في الارتماء في حضنه، كلّما زدت من عنفي معه حتّى لا أنهار أمامه.. لو يعلم بكلّ تلك الأشياء لأشفق عليّ كثيرًا، وعوضني محاولاتي الكثيرة لوأد مشاعري اتّجاهه.. لكن خيرًا لنا الآن أنّه لا يعلم!!.

.~.~.~

(٥٣)

هاتفتها رغم قراري لكن هاتفها المغلق صدمني، وكأنّه يخبرني بحكمة أنّ ما بيننا انتهى دون رجعة.. لم يكن أمامي سوى المُضي قدمًا في حياتي.. لكن شيئًا ما حدث، وكأنّ الأيّام فقدت مذاقها الجيّد.. اتصلت بها مجددًا لكن مازال هاتفها يُخْرج لي لسانه كي أفقد الأمل.. الأمر الذي فعلته مع محاولتي الثّالثة الفاشلة.

بدا تصرفها و كأنّها محتني من ذاكرتها للأبد، لذا كان عليّ أن أفعل المثل لكن طيفها كان عنيدًا معي. تُرَى هل أكملت الدّفتر أم مزّقته؟! و هل يمكن أن يكون ما بالدفتر هو حياتها؟! أم أنّها تملك ملكة التأليف التي لطالما شعرت بها فى حديثها معي؟! أعتقد أنّ عليَّ زيارتها لأعرف أين انتهى الكلام بالدفتر..أليس هذا واجبي كطبيب؟!

.~.~.~.

(٥٤)

نبّأتني النّظرات العدوانية تجاهي أنّ من يزاحمني غرفة صالونها هو "عادل" طليقها.. و رغم ذلك بدا أنّها لم تخبره بشيءٍ، وإلا كان افترسني.. بل بدا وقتها أنّها لم تقابله بعد. ياله من موقفٍ شنيع ما وضعتها فيه بغبائي.

أطلّتْ من الباب بهيئتها الهادئة الواثقة رغم نظرة عينيها المشتّتة بيننا.. لم يعد أمامي مجال في تلك اللّحظة سوى الانسحاب، فحرصتُ أن يكون انسحابًا منظمًا و إلا زدت الأمور تعقيدًا، وأفسدتُ لها علاقتها بطليقها؛ لذا لم أعطها فرصةً للحديث، بل قلتُ بسرعة:

_ "آسف على الإزعاج دكتورة.. لكنّي في حاجة لتقريركْ عن الحالة المرضية التي أرسلتُها لك."

تعاملتْ مع الموقف بذكاء كما عهدتها قائلةً: "إنّها أرسلتْ لي الأوراق مع الممرّضة، فشكرتها و انسحبتُ تاركًا إياها معه، معتذرًا عن حضوري غير المتوقّع.

لم يكن الأمر سهلًا و أنا أتركها لغيري، لكن رؤية طليقها في ذلك الموقف حذّرني من اللّعب بمشاعر مريضتي.

~.~.~.

(٥٥)

عادل و إسلام خصماي قلبي في نفس اللحظة!

لم أتوقّع أن أهتزّ أمام رؤيتي "لعادل" بتلك الصّورة بعد كلّ ما مررت به معه.. بل لم أجد تفسيرًا لتلك الرّعشة التي باغتتني حين نظرتُ إليه بمجرّد دخولي الغرفة.

أردت أن أصفعه بقوّة؛ لأنّه من دفعنا لهذا الوضع.. أردت أن أصرخ فيه طالبة منه تفسيرًا واحدًا يبرّر له هدمه لحياتنا. و تشابكت بعقلي الأسئلة: هل أخطأت حين تزوّجته و هو يصغرني بعدّة سنوات؟! هل أخطأت حين وافقت على أن تجمعني بوالدته شقّة واحدة؟! هل أخطأت حين استسلمت لمكوثه في البيت دون عمل بعد زواجنا تنفيذًا منه لرغبة والدته مؤمنةً أن حاله سينصلح يومًا ما؟! هل أخطأت حين كففت عن مناقشته في قراراته الدّكتاتورية بدعوى الطّاعة له؟!، وهل أخطأت حين استسلمت لصمتي بدلًا من مواجهته بمشاكلنا الكثيرة؟! "

أسئلة كثيرة بحجم الألم الذي استوطنني لكن الإجابة واحدة .. نعم أخطأت لكنّي لم أكن وحدي..

فقد كان يشاطرني الخطأ دون أيّ شيءٍ آخر، فقط يترك لي حرّية التألّم دون الفرصة لإعطائي الدّواء، بل مُسكّنْ عقيم سرعان ما دفعني للرّحيل، لكنّه أسوأ رحيل بعد أن خرجت من دائرته المفزعة إلى بحر ليس له قرار مع "إسلام" طبيبي.

انزعاج ..ارتباك بمجرد تنقّل نظري بينهما وشعور بالكراهية اتجاههما لم أتخيّله قط إلّا أنّني لم أُظهر سوى ابتسامة هادئة، وأنا أرحّب بهما وأجيب "إسلام" على حجّة حضوره.. كان من الممكن أن أعطيه الدّفتر الذي قصده بكلامه، لكنّي آثرت الرّفض حتى أنتهي منه، وشعرتُ بالرّاحة حين غادر المكان على الرّغم من رغبتي في الحديث معه للتنفيس عن غضبي لتجاهله لي الفترة السّابقة، فقد كنتُ في حاجةٍ أكبر لحسم أمري مع طليقي.

(٥٦)

بدتْ السّخافة هي العنوان الأنسب للمشهد الذي جمعني وحدي مع طليقي بعد أن طلبت من والدتي إعداد مشروب ساخن لنا، بينما لم يكن والدي موجودًا ليقطع حديثنا الصّامت، فقد نفّذ توقعاتي لسلوكه الذي بات كالبصمة لا يمكن تغييره مهما مرّ من الوقت.

صمت ثم صمت ثم صمت على أن أبدأ الحوار فيبدأ هو الهجوم.. لكنّي رفضت أن تسير الأمور على طريقته، فخالفت كلّ ما تعوّدناه معا، فلم يجد مفرًا من البدء، فحاول أن يثور عليّ لزيارة "إسلام" لكنّي لم أرها ثورة غيرة كما كنت، بل بدت لي كمن يحاول السّيطرة على ممتلكاته الخاصّة، فلم أرتعب خوفًا على غضبه كما الماضي، بل بدا صوتي حادًا للمرّة الاولى في حديثي معه طالبة منه ألّا يتدخل في شئوني الخاصّة.

أسلوب جديد لم يعتده مني في الحوار معه؛ لذا بدا مشدوهًا، فقال محاولاً التّخفيف من توتّره المفضوح:

ـ" أتيت لأرى الولدين."

كان صوته يصرخ بالكذب، فقلت بهدوء:

ـ" الولدان نائمان، فالوقت متأخّر."

لكنّه لم يرتدع بجملتي، بل صبغ نفسه بالسّذاجة وهو يحاول تذكيري بعلاقاتنا الحميمية، فقلت بحسم:

ـ" ما سبب حضورك؟!"

ـ "أتسأليني؟!"

ـ" لست عالمة للغيب حتّى أعرف!!."

زاد صمته كما توقّعته، ثمّ قال و قد أحضرت والدتي الشاي، وتركته لنا:

ـ" أفتقدك."

كان صوته ساحرًا، وهو ينطق بالكلمة وكأنّني أسمعه قادمًا من عالمٍ آخر.. عالم لا يوجد به سوى الرومانسية وكفى .. لكن تأثيره تلاشى سريعًا، فقلت و أنا أناوله كوب الشّاي:

ـ" تفضل. ما أخبار والدتك؟!"

ـ" بخير .. أفتقدك."

ـ "هل بدأت في عملٍ جديد؟!"

ـ "كفّي عن المراوغة."

قالها، وهو يضع الكوب على الطاولة أمامه قائلًا بعصبية:

_" إنّي أفتقدك.. ألا يوجد ردّ؟!"

_" بالطبع يوجد.. كنتُ أفتقدك.. كنتُ أتأثّر بك، وقد شعرتُ للحظة بالتأثّر، لكن كلّ شيء انتهى."

كانت كلماتي مجرّدة من أي تحايل على الواقع. نعم لم أعد كما كنت أعتقد، فشعرت بسعادةٍ طاغية.

_ "لم تكوني في يومٍ ما قاسيةً هكذا.!"

قالها، وقد تلوّن وجهه من الصّدمة، لكنّي لم أشفق عليه كما في الماضي، بل قلت وأنا أقف:

_" تهاونتُ معكَ كثيرًا حتى صرت تستعذب ألمي، فماذا تتوقّع منّي؟!"

_ "لم أفعل قط. "

_ "حقًا؟! و من أخبرك عن زيارتي تلك حتى تنتهي عدّتي، فلا تستطيع استردادي سوى بموافقتي؟!"

_ "لا أفهم كلامك."

_ "هل تعرف والدتك بزيارتك تلك؟!"

_" نعم أخبرتها منذ عدّة أيّام."

ـ" وهي التي أخبرتك بتأجيل الزيارة قليلًا. أليس كذلك؟!"

اسودّ وجهه دون أن يجبني، فقلت:

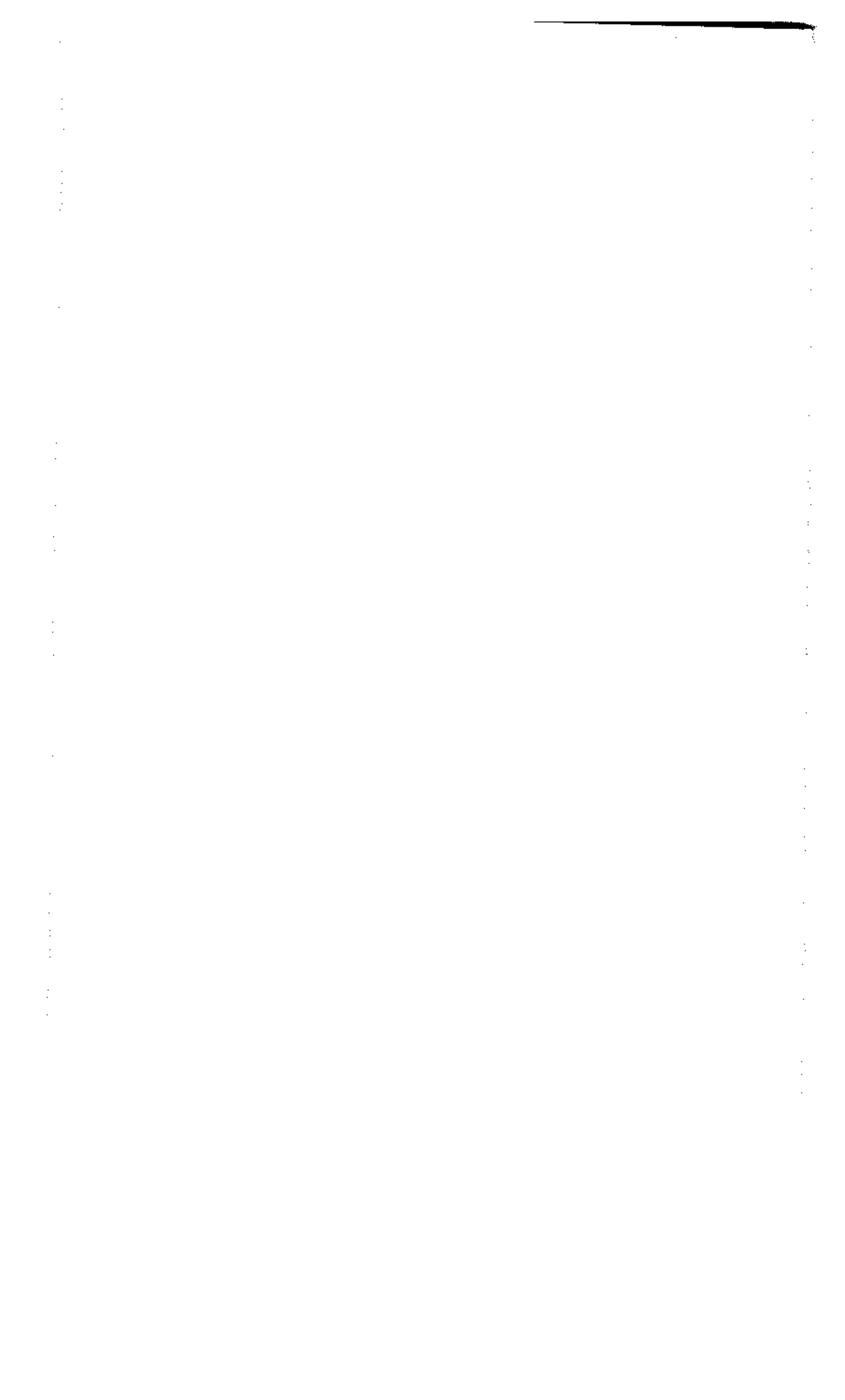
ـ" يبدو أنك فهمت. و الآن لم يعد يربطنا سوى الأولاد، فلتخبرها أن تطمئن."

و تركتهُ في ذهوله لأكتب الفصل الأخير من دفتري!!.

.~.~.~.

الفصل السّادس

انتهى الدّفتر



(٥٧)

في بعض الأحيان تكون الأمور واضحةً وضوح الشّمس، لكن كما هو معروف عن الحبّ أنّه أعمى، فقد أُضيف إليه في حالتي أنّه أبكم، وأصمّ.

فعلى صعيد الأحداث لم يكن هناك أحداثٌ تُذْكر في ذلك الوقت.. بل توتّر مستمر كأنّ حياتي شريط (مسفوس) لا مجال لتوقّفه إلا بإيقاف كلّ شيء، وهو ما لم يكن من الممكن أن يحدث بتلك السّهولة.

تشاجرت و" آية" كثيرًا حول من يملك نقطة البداية لإنهاء مهزلتنا بفسخ خطوبته أوّلًا، فكنّا كمن يتشاجر حول ما الذي خُلق الأوّل البيضة أم الكتكوت؟! لكنّي لم أنتظر الإجابة، وحسمت أمري دون مقدّمات الأمر الذي عرّضني لوابل من الانتقادات داخل أسرتي خرجت منها جميعًا كالقائد المنتصر الجريح.

كنت وحدي في المعركة كأنّي سأتزوّج نفسي، أمّا هو فكأنّه قد غادر الدنيا للأبد. انقطعت أخباره فجأة .. فهاتفه مغلق دائمًا، والعمل قد أخذ منه إجازة للمرّة الأولى في حياته كما علمت من الزّملاء، وأختي لم تعد

في حالة طبيعية، وهي تسألني عن سرّ اختفائه الغريب دون أن أجد لها الجواب الذي يشفيها و يشفيني.

وددت كثيرًا أن أطلب من زملائي زيارته للاطمئنان عليه، لكنّهم جميعًا بدوا غير متحمّسين لاقتحام خصوصيته التي فرضها على نفسه منذ عمل بالمكان، فاستسلمت للأحداث توجّهني حيث تريد لكنّها لم تكن توجّهني سوى للعذاب طوال الأسبوعين اللذين اختفى فيهما، بعد أن زادت والدتي الضّغوط علي لتعرف سبب تغيّري تجاه خطيبي السّابق.

كانت إجازته قد انتهت وانتهى معها صبري، فخرجت مبكرًا من البيت لاستقباله في المعمل تقودني شحنة غضب تبحث عن لحظة الانفجار بشغف.. لكن ما إن رأيته حتّى بُهتُّ.

~.~.~.

(٥٨)

جلد و عظم .. ضع أيًا منهما فوق الثاني، ولن نختلف في وصفه، لذا كان طبيعيًا أن يُنسيني مظهره كلّ شيء ما عدا القلق، فركضتُ في اتّجاهه غير عابئة أن يراني أحد من الزّملاء، وهو يدخل المكان لكنّه صدّني بيديه كأنّه خائفٌ من أرتمي في حضنه ..الأمر الذي لو لم يكن حرام لفعلته رغمًا عنه.

وتوقّف الزّمن بيننا للحظات.. لا حركة .. لا كلام .. فقط نظرات يملؤها الاحتياج للآخر، وتساؤلات حائرة تركني وسطها واتّجه إلى مكتبه، فلحقت به و هممت بسؤاله، لكن هاتفه أعلن أنّه مازال حيًا، فنظر لشاشته ثمّ أعاده لغيبوبته قائلًا:

ـ" أحتك لم تفقد الأمل فيّ."

انتزعتني جملته من لهفتي عليه؛ لتلقي بي في دوّامة حقيقة كونها قد تعلّقت به، بل ربّما أحبّته وكدت أغادر المكتب فلا مجال لي لتحطيمها، لكنّه استوقفني قائلًا:

ـ" سآتي اليوم لزيارتكم."

فالتفت له قائلةً بدموعٍ مكبوتة:

ـ" يجب أن تفسخ خطبتك لها، وتنساني أيضًا."

و غادرت المكتب مغلقة الباب خلفي، فلم يلحق بي.

.~.~.~.

"الصبر.. "

"الصبر.. "

"الصبر.."

لو كرّرتُ الكلمة ألف مرة ما صدقت أنّي تحلّيت به. كنت لا أفكّر في الأمر، وكأنّي قد فقدت الذّاكرة حتّى عدت للمترل، واستعدمّا فأخبرهم بزيارته.

كانت نظرات "سما" حزينه كما لم أرها من قبل.. لم تسألني عنه كعادمّا الخجلة رغم قلقها البادي للعيان.. فقط انكفأت على ذامّا كما فعلت منذ اختفائه ونامت، كأنّي أتحدّث عن زيارة غريب، بينما لم يكن أي من والديّ يعلم شيئًا عن اختفاءه السابق، فقد طلبت منّي ألّا أُحَدّثُهما بالأمر.

أما أنا فخرجت أرتّب المكان كأنّي المقصودة بالزّيارة، وأخيرًا عدت للغرفة، فوجدمّا ماتزال نائمة كما لم تنم الأيّام السّابقة، وحين دقّ الجرس شعرت بعقلي يفور، وقلبي يكاد ينخلع من موضعه.

أيقظتُها بصعوبة لتقابله، فارتدتْ ملابسها في فتورٍ وخرجت دون أن تتزيّن، بينما جلست أنا في غرفتي

لأعاود كرّة المعاناة في كلّ زيارة له مخرجة كلّ ما خزّنته من توتّر خلال اليوم خاصّة مع عدم استطاعتي سماع صوهم من مجلسي.

كان خروجي من غرفتي يعني افتضاح تجسّسي عليهم، فلباب الغرفة صرير مزعج يصدر مع أقلّ حركة له، و لم أكن قادرة لأفاجأ بمناداة أحد لي لحضور تلك المواجهة رغم هوسي لمعرفة ما يدور بها لكن انتظاري لم يطل، فنصف ساعة وسمعت صوت باب شقّتنا يُغلقْ أعقبه صوت أمّي و هي تتشاجر مع أختي حول جنوها.. فخرجتُ من مخدعي لأعرف ما يحدث، و توقّعت أن يتم إلقائي من النّافذة لأني من أدخلته مترلنا، لكنّي فوجئت بأبي يقول لوالدتي:

ـ "الزواج ليس بالإجبار، وابنتك لا تريده و هو لم يعترض على رغبتها فلتكفّي عن الضّغط عليها."

وبينما غادرت "سما" إلى غرفتنا في صمت.. عرفت من والدي أنّها أعطت "آيه" دبلته.. و بقدر سعادتي لإنهاء تلك الخطوبة التي كانت تحطّمني يوميًا بقدر حزني أنّي نسجت سعادتي من تعاسة أسرتي.

.~.~.~.

على الرّغم من أنّ رد فعل "سما" تجاه ما فعله "آيه" معها أمر طبيعي إلا أنّني لم أتوقّعه منها، فلم تكن من النّوع الذي يخسر الآخرين حتى لو أساؤوا إليها.

أيقظتني صرخة والدتي المليئة بالدّعوات عليّ من تأمّلاتي؛ لأنّني من ابتدع موضة فسخ الخطوبة، فقلت بصوتي المتعجرف:

ـ" من يبتدع الموضة لا يُجبر الآخرين على ارتدائها!!."

ثمّ تركت والدي معها يهدئها، وهي مازالت تتّهمه أنّه المتسبّب في إفسادي. ودخلت غرفتي و أغلقت الباب خلفي.

كانت الغرفة معتمة، فأضأتُ النّور متوقعة غضب "سما"، لكنّني لم أجدها فهاجمتني فكرة انتحارها لكن النّافذة المغلقة أراحتني.. ثمّ بحثتُ عنها أسفل سريرها حيث ملجأ طفولتها للبكاء، فوجدتها لكنها كانت متكوّرة حول ذاتها في صمتْ.

حاولت إخراجها لكنّها لم تكن ترد عليّ، فنزلت أسفل السّرير جوارها دافعة إياها بجسدي حتّى

أخرجتها من أسفله رغم مقاومتها لي، وكادت أن تغادر الغرفة قبل أن أخرج بجسدي كلّه من أسفل السّرير، فباغتّها قائلة:

ـ" هل تحبينه لتلك الدرجة؟!

استوقفها سؤالي عن الحركة حتّى خرجت من أسفل السّرير كلّية.. نفّضت ملابسي و صوتها الحالم لإجابتها المتوقّعة يداعب خيالي و يرهقني، لكنّها باندفاعها تجاهي و صراخها في وجهي نسفت معرفتي بشخصيّتها:

ـ" لا داعي للمراوغة .. تحبّينه و يحبّك، وما أنا إلا غلطة منه."

كانت إجابتها صدمة لم أستطع معها أن أستفيد من خبراتي التّمثيلية في الهروب من الموقف فصمتُّ، لكنّها لم تشاطرني صمتي كما توقّعت، بل أكملت:

ـ" دعينا نزيح السّتار عن الحقيقة دون مراوغة .. منذ يوم خطوبتنا الجماعية، وأنا أرى لهفتك عليه في عينيكِ التي فقدت مهارة الكذب فيما يخصّه،لكنّي لم أكن متأكّدة من مشاعره اتجاهك حتّى تيقّنت مع فسخك

لخطوبتك أن عُمر خطوبتي مجرّد أيّام، خاصّة مع احتفائه المفاجئ، فكان لابدّ أن يكون قراري.

و أشارت بيدها لنفسها قائلة بفخر:

_"" بيدي لا بيد عمرو".

ثمّ ضحكتْ قبل أن همس في أذني:

_" لقد سمعتك تناديه في أحلامك "بالحصان الجامح"، وأنا لا أحبّ الجموح."

و تراجعتُ للخلف قائلة، وهي تجلس على طرف سريرها، وقد التمعت عيناها:

_ "تريدين الحقيقة؟!"

هززت رأسي بالموافقة، وأنا لم أفق بعد من الصّدمة:

_ "لقد كان خطيبك هو الأنسب لي لكنّه اختاركِ أنتِ و هو من أبكي عليه بكلّ صراحة، فقد كنت أتمنّى أن يرغبني لكنّه ظلّ يتمنّاكِ."

(شش) هو كلّ ما كنت أسمعه بعقلي في تلك اللّحظة، وأخيرًا قلت:

_ "و لماذا لم تفسخي خطوبتك منذ البداية؟!"

_ "بصراحة؟!"

ـ "و هل هناك أجمل من الصّراحة؟!"

ـ" نعم الكذب في حالتي تلك هو الأجمل. فبكلّ صراحة كنت أنتقم منكما لتعريضي لهذا الموقف المهين!!."

ثمّ أخذتْ نفسا قبل أن تقول:

ـ" لقد صار الملعب خاليًا من أجلك، وأمامك خطيبك وخطيبي فلتختاري من تشائين."

ثمّ تركتني وحدي مذهولة من اكتشافي لهذا الجانب من شخصيتها، والّذي لم أكن أعلم شيئًا عنه من قبل، فقد اتّضح لي أنّ "سما" الحمل الوديع الذي تمنّيت أن أكنّه يومًا ما قد صار لها أنيابًا."

.~.~.~.

للمرّة الأولى في حياتي ينتابني الوجوم بتلك الصّورة، فعلى الرّغم من أنّ اعتراف "سما "كان بمثابة ممحاة لهمّ انتابني لشهور إلّا أنّ عقلي بدا فارغًا أمام التفكير في خطوتي القادمة على الرّغم من تعجّلي لها.

انطويت على نفسي أنا الأخرى لأيّام، فبدا مترلنا كمعسكرٍ لتعليم "فن الانطواء"، أمّا هو فكان يزداد غربة عنّي و ينقطع الحديث بيننا قبل أن يبدأ في كلّ مرة نتقابل في العمل، فاستسلمت للأمور تجري بي في المجرى الذي تريد أيّا كانت وجهتها، لكنّها كانت تسير الهُوَيْنا، وكأنّها تخشى من إحداث زلزال حتى كرّرت عليه ثورتي في صباح أحد الأيّام لكنّها تلك المرّة كانت بين جدران مكتبه طالبة منه الإسراع في إجراء خطوة جديدة بدلاً من هذا الجمود، فقال:

_" غدا سأسافر باريس."

لو سارت نملة في تلك اللحظة في الغرفة لسُمِع دبيبُها بعد جملته تلك قرابة عشر دقائق، وأخيرًا قلت بعصبية:

_" تتّخذ قرارًا تلو الآخر، وكلها لا تشير إلّا نحو الهروب، فممَ تهرب؟!"

ـ" لا أهرب، ولكنّي أذهب لأعود لكِ لنتزوّج سريعًا."

لم يقنعني رده، فازددت حدّة:

ـ" إذا كانت رغبتك الزّواج سريعًا فلتأتي إلى أبي، وتعلنها صراحة."

ـ "لو جئتُ الآن سيرفضني قطعًا من أجل أختك،وهو أمر أحسب حسابه بشدة. سأسافر و أعود بعد عام يكون الموضوع قد هدأ، وتكون أختك قد تزوّجت من أيّ شابٍ آخر!!."

هنا قلتُ بيأس، وأنا أستند بيدي على ظهر مقعد بالمكان:

ـ" لن تعود .. صدّقني."

ـ" سأعود."

ـ "ستجرفك الحياة هناك، ولن تعود."

ـ" بل سأعود؛ لأنّ حياتي ستُعلق هنا لحين عودتي إليكِ."

ـ" ليس بالكلام , لا الوعود، لكنّه الواقع. ستظلّ أنت هناك وأنا هنا، ولن يجمعنا سوى غلافٍ جويٍ واحد.!"

ـ "بل سيجمعنا أكثر من ذلك بكثير."

ـ "ووالديك كيف سيتقبّلان الأمر؟!"

كانت نظرته تعني الكثير، فعرفت السّبب الحقيقي وراء سفره، فقلت وأنا أغادر المكتب:

ـ" لقد حكمت علينا بالفراق، فشكرًا لك. "

.~.~.~

(٦٢)

الانتظار نوعان: أولاهما: أن تعيش الترقّب بشغف لتبدأ بالقلق و تنتهي بالأمان، و ثانيهما: أن تعيش المأساة بكلّ مراحلها فتبدأ بالأمل و تنتهي بقبول الواقع. و قد كان نصيبي من النّوع الثاني عظيمًا، فقد سافر "حصاني الجامح" على وعد رسمه لي في الهواء بالعودة، فحصدت خمسة وعشرين عامًا من ترقّب الوصول، لكن لا أحد عاد سوا الخواء، و كأنّ ابتهالاتي بعودته كانت تصل معكوسة للسّماء.

و تحوّلت لصنم في محراب حبّه .. يحتلّني صفات لا غالب لغيرهم: صم .. بكم .. عمى، فلم تكن تدخل أذني نصيحة كي أعقل و أتزوّج إلّا و فتحت لها كل الإشارات لترحل، ولم تكن تهب ثوراتي علي حججه الانهائية لبقائه بعيدًا إلا وأخمدتها، وجذبني التيّار لأقر النهاية التي اخترتها لحياتي طوال الوقت، فها قد تزوّجت أختي من خطيبي، بينما حملتُ دومًا معي ورقة زواجي من "الانتظار"، وشهادة ميلاد طفلتي التي أنجبتها من "الخيال"، وها قد حان الوقت لأُطفئ شمعة خيبتي مع حفيدة أختي التي أنجبتها ابنتها "سهام" .. تلك الابنة التي حملت اسمي فقط، فحمدًا و شكرًا لك يارب!!!.

.~.~.~.

الفصل السّابع

بداية جديدة

"الفشل لغة حياتي"

نعم .. فقد نجحت في جعل حياتي و انفصالي عن "عادل" لعنة أصابة "حسن "و "جمال"، فرفضا أن يتزوّجا رغم تخطيهما سن الأربعين لرعايتي..أمّا "عادل" نفسه فقد طويت صفحته من حياتي مكتفية بدوره تجاه ولداي إلّا أنني لم أستطع أن أتّخذ قراري تجاه "إسلام" قط، وكأنّه صاحب الأرض منذ البداية، و تكرّرت محاولات نسيانه لإصراره علي معاملتي كمريضة عنده، لكن يبدو أنّ النسيان هجرني للأبد؛ لذا كان لابدّ أن أفعل ما يعوّضني عن افتقادي له.

لم أعطه الدّفتر رغم انتظاره لي في مكتبه متّصلًا بي على مدار السّاعة يومها، بل عملت بنصيحة العجوز ونشرته.

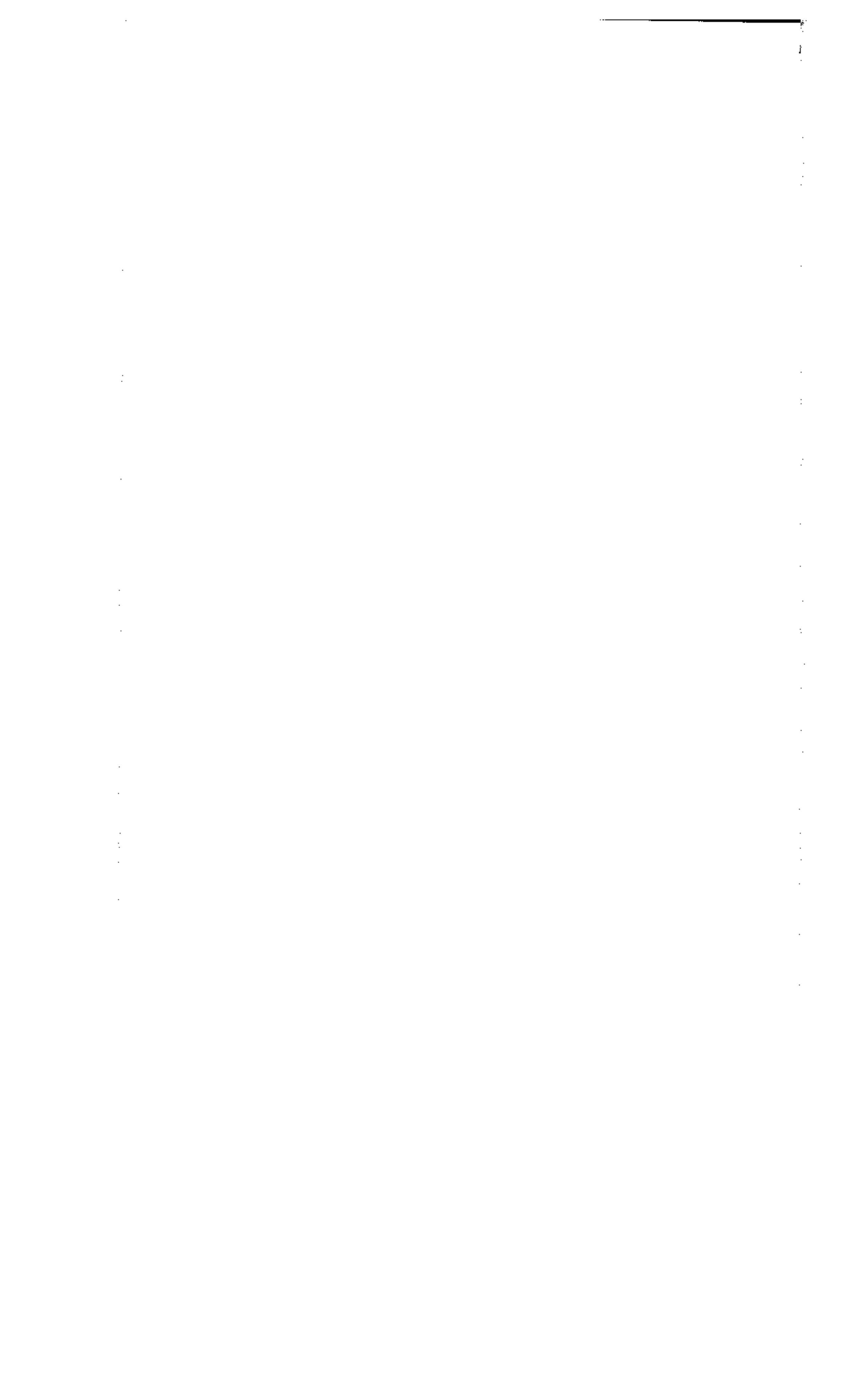
قلبٌ موجوع من رجلا حياتي و شابّان معقّدان بسببي، ودفتر وحيد منشور_ ربّما لم يمحِ الحقيقة لكنّه حتمًا حمل روحها_ هم حصاد سنواتي الثّمانين.

تّمت بحمد "الله"

الجمعة ٢٧– ٨ – ٢٠١٠

الهيـــــش

هي نباتات تنمو على حوافّ التُرع و المسطّحات المائية، وتعوق مجرى المياه ولا تصلح للعيش وسطها و تتسبّب الحشرات التي تنمو عليها في إتلاف النباتات الأخرى وإحراقها لذا لا يصلح الزراعة بجوارها.



عن الكاتبـــة

الاسم: إيمان عزمي عبد الحميد رجائي.

السن: ٣٠ سنة.

المؤهل: حاصلة على ليسانس آداب قسم جغرافيا.

العمل: أخصائية خـــرائط بالهيئـــة المـــصرية العامّـــة للمساحة.

الإصدارات السّابقة:

"حتّى القهوة أصابها البرود مجموعة قصصية مشتركة"

"فأر في المصيدة مجموعة قصصية مشتركة"

"أنا و حماتي حلْقات كوميدية."

"صاحبة مدوّنة خلف السّطور"

"و مدوّنة أنا و حماتي"

إيميل :
iman_azmy_١@yahoo.com